القضاء عند عرب البادية (١)

فطر الأعرابي على حب العز والفخار ، تصبو نفسه الى المكارم وشريف الأعمال ، ولا يخلد الى الذل والصغار ، مهما جابهته المصاعب والأقدار . وهو لايطمح الى المعالي إلا لينال صيتاً بعيداً وشهرةً واسعة بين اقرانه وفي عشيرته . فيغار البدوي على شرفه ويؤثر المنون على العار والهوان ، وتنهض به عزة نفسه الى الانتقام ، او طلب الحق امام القاضي البدوي . وقد يثور ثائره لأدنى امر يحط بقدره ويخفض من حاله .

(ماهي الحقوق البدوية التي يستند اليها قضاتهم ؟) — هي قوانين نقلية محفوظة في البادية مرسومة لتأديب المجرمين وتهذيب الأعراب ، يعرفها ارباب القضاء ويجرون عليها ، وبها يعوضون لصاحب الحق او لأهله ما فقدوه من الشرف او المال اوالحياة . ومن هذه القوانين عندهم أن الأخذ بالثأر لا يعد قربة يجازى عليها المنتقم . فالانتقام عندهم من النواميس الشريفة والفرائض الضرورية المقدسة التي لا يسعهم تجنبها ولو طال عهدها فالضغينة تبقى مستورة في صدورهم كالنار تحت الرماد ، فيأتي الريح يوماً ويكشف الرماد وتظهر الثارات والأحقاد . وكثيراً مايرفض الأعراب حكم قاضيهم ليرووا ظمأهم بدم الأعادي ، ويثأروا للقتيل وينالوا الطوائل بايديهم وقد يجمع الأعرابي اولاده على سرير موته ويوصيهم أن يأخذوا الثأر من احد اعدائه ، ولا يدعو الدم يصرخ الى السماء صراخاً اليماً . فأنهم يعتقدون ان دم المقتول يصرخ دائماً في الليالي الدامسة ، ويطلب من اولاده واقاربه وعشيرته ان ينتقموا له من قاتله .

ينتظر البدوي الفرصة الموافقة لأخذ الثأر بصبر عجيب ، ويقدم على هذا الأمر بنفس

---

(١) محاضرة الاستاذ عبد الله رعد كان ألقاها في ردهة المجمع العلمي

حادثة وسرور عظيم ، لانه يعلم أن القضاء لا يطالبه بهذا الدم ، اذا كان دم القاتل نفسه او دم اولاده أواقربائه حتى الدرجة الخامسة . اما اذا زادت هذه القرابة على الدرجة الخامسة فيعد قتله عندئذ جرماً . على ان ارباب الحق الذين يعجزون عن الأخذ بالثأر لقلتهم او لضعفهم تجاه بسالة عدوهم ، فانهم يلتجؤن الى امير كبير من عشيرة أخرى يعرف بجرأة صدره ، ورباطة جأشه ، وثبات جنانه ، وهو ينتقم لهم من عدوهم . اويطلب القاتل و يلزمه بالقيام بحق الدم .

* * *

إن من يتأمل في عادة الانتقام ، أيها السادة ، يحكم لأول وهلة أنها بربرية لا يقدم عليها الا الامم المتوحشة . وهذا من الصحة على جانب كبير لولا وجود هذه السنة في البادية لغدت القفار الأعرابية دار حرب دائمة ، لأن المجرمين لايهابون قتل النفوس البريئة ، اذ لارادع يردعهم ، ولاسيف يمنعهم . وسنة الدم بالدم تصد الاشرار ، لذلك يندر القتل في البادية . وخوفاً من العقاب لايهدر البدوي دم المسافرين ، بل يكتفي بسلبهم ثيابهم واموالهم . ثم إن العرب يرحلون على ظهور اباعرهم طلباً للرزق الحرام من الغزوات ، فهم مع ذلك يجتنبون القتل لئلا تنزل بهم الضربات الهائلة التي تأمر بها شريعة الأخذ بالثأر . وهذه الشريعة تجعل البيداء في أمن وسلام ، يسافر فيها المرء غير خائف على نفسه وان سلبوه ماله بخلاف القفار الإفريقية حيث يُقتل قبل ان يُسلب .

* * *

(ماهو القاضي البدوي ؟) — قاضي العرب أمير من أمرائهم تسأله القبيلة أو العشيرة على أفرادها ، لاظهار الحق من الباطل طبقاً للتقاليد البدوية ، والعوائد النقلية القديمة . على أن الأعراب قد لايرضون بقاض واحد كبير يترأسهم ، بل يوكلون القضاء الى وجوه العشيرة و كهولها ، فيأتون اليهم ويعرضون دعواهم فيحكمون بينهم بحسب عاداتهم الجارية . هؤلاء الرجال لاينالون كالقُضاة الحقيقيين راتباً لقضائهم ، وانما يعملون ذلك ، كما يقولون ، لوجه الله الكريم ، والمتخاصمون يلبثون أحراراً في الخضوع لحكمهم أو رفضه ، ورفع الدعوى الى القاضي الكبير .

القاضي الكبير يرثُ الحكم عن أبيه لأن العرب مولعون بحفظ الأصل والنسب .

ولكنه لايتسلط على الأعراب الا اذا نال رضى الجميع ، بسديد رأيه ومعرفته الحقوق البدوية . ولهذا القاضي سلطة واسعة تفوق سلطة الحكام في الممالك المتمدنة والربوع العامرة . فاذا قال كلمته انقطع الحديث ، وباد الاعتراض وصمت المتخاصمون . ولهم عادة حميدة تذكر بالثناء عليهم ، وهي ان قاضي العشيرة اذا رُفعت اليه دعوى باحد أقاربه لايحكم فيها بل يحيلها الى قاضٍ آخر غيره من القضاة المجاورين أرباب العدل والانصاف، لئلا تحوم حوله الظنون .

* * *

(كيف يجري القضاء عند العرب ؟) — اذا وقعت الخصومات بين العرب على ممتلكاتهم من الحيوانات والارضين ، هاج هائجهم ، فتستفزهم في الحال نزوة الغضب ، فينتفضون من الغيظ ، ويرتجفون من الحنق ، فينتضون السيوف ويطلقون الرصاص ، لما طبعوا عليه من حدة الأخلاق ، وحفظ الحقد والضغينة . والسرقةُ عندهم من الفضائل ، والكذب جارٍ عندهم مجرى العادة يضربون به المثل قائلين « الكذب ملح الرجال، وعيب على من يصدق » . فاذا حلّ الخصام ، وارتفعت الأصوات والشتائم ، وأُنتضيت السيوف وسمع أزيز الرصاص ، دخل المصلحون بين المتخاصمين ، وحملوهم على الكف عن الخصام ، وحلّ المشكل بالقَسم أو بحكم القاضي .

أما القَسم فمن أرهب الامور عند العرب وأقدسها ، ولا يقدمون عليه الأ مضطرين . لأن الأعرابي تملك قلبه الخيالات المخيفة ، والتصورات المرعبة ، لذلك يتجنب الحلف ولو كان به صادقاً ، ويهاب اتخاذ المولى الكريم أو أحد أوليائه وأنبيائه شاهداً على صحة قوله ، ولو كان من قطاع الطرق .

والقسم عند العرب أنواع مختلفة : منه مايسمونه القسم الجاري أوالقسم الصغير ، ومنه قسم اليد ، والقسم الكبير ، ومنه القسم المُشبة ، ومنه قسم النملة والشملة .

ففي القسم الصغير يقوم الشيخ وسط الخيمة ويقول : أُقسم عليك بالله وبصلاة محمد هل فعلت الامر الفلاني . فيقول والله وصلاة محمد لم أفعل .

وفي حلف اليد ، يضع الحالف يده على رأس الحالف ويقول : «أناشدك الله ، بالحوش وتنوش ، بحلابات الحليب ونشافات العسب (اي الخيل) ، وبالنساء ومانجيب ،

داخلٌ عليك عالمال والعيال ، من الحِلّ والاستحلال ، اليوم بين عينيك وباكر بين متنيك (أي اليوم تراني وغداً تحملني على النعش) بغيّه عليّ وبيّنه عليك ، ان احالمتها تسرّك وان خبّيتها تضرّك ، اماصار كذا وكذا ؟ فيجيب : إي بالله ورسوله صار كيت وكيت . أو : لابالله ورسوله ما صار ذلك » .

ويقولون ايضاً في أقسامهم « انا حاضر بحضارك وبموقد نارك ، أماصار كذاوكذا »

ويقولون في حلف العشبة : بحق هذه العشبه الملويه والكاذب ماله ذريه .

أما قسم النملة والشملة فدونكم وصفه : حينما يكون العرب وكبارهم ملتئمين في شقٍ الرجال من الخيمة ، وقد طال الجدال بين فريقين على أرضٍ أو فرس أوغير ذلك ، يقوم أميرالبيت ويخرج بمجلسه خارج الخيمة ، ثم ينتضي سيفاً ويخطّ به دائرة كبيرة ، ويضع في وسط الدائرة حبةَ حنطةٍ ونملة . والحنطة تدلّ عند العرب على أكرم ماخلق الله تعالى والنملة تمثّل الحكمة والفطنة والإدراك . ثم يدقّ السيف في منتصف الدائرة . عندئذ ينزع المتهم عنه سلاحه ويدخل في وسطها ويضع يده على نصاب السيف ويقسم قائلاً : « والله العظيم والسيف الكريم ماعملت الشر ولا سرقت ولا قتلت الخ » .

وكثيراً مايمتقع لون الرجل ، وترتخي مفاصله ، وترتجف يداه ورجلاه من الرعب ، وربما رجع عن الحلف وأقرّ بما فعل .

والحلف بالمقامات يعدّ عند الأعراب من الأقسام العظمى . وربما أقسم البدويّ بالله مراراً عديدةً وأبى أن يقسم بالأولياء والمزارات المقدسة كمزار النبي شعيب ، والنبي هوشع ، والشيخ عبد الله ، ونحو ذلك من المزارات المشهورة عند العرب .

على ان العرب يدعون غالب الأحيان القسم لرهبته ، ويلجأون الى القاضي البدوي . وهذا مايدعونه (بالقضوة) .

فما أجمل بيت الشَّعر حينما يزين بانواع الأثاث ، ويفرش بالسجاد الفاخر ، ويعلّق على جدرانه السلاح اللامع . يجلس الامير في صدره للقضاء ، ومن حوله وجوه العشيرة . فيُسمع صوت «المهباج» بدق القهوة ، فتطبخ ويطاف بها على الحضور دفعاتٍ متوالية . وبعد شرب القهوة يقوم احد المتخاصمين وهو المدعي ، ويجلس في وسط الخيمة بين الحاضرين ويلتفت الى القاضي ويقول : وهو عندهم بمثابة الاستدعاء يفتتحون به الدعوى : « وايش

بك يا قاضينا ، بلّي بحقك تراضينا ، جيتك هدّي ومشيا قدّي ، أفلح وصلّ عالنبي (فيقول الجميع الصلاة والسلام عليه) ، حظّي وحظّك بدخلان على اربعه واربعين نبي، من الفوط والنوط والحق الردي ، وانا داخل عالمال والعيال من شي مبيّن عليّ وعليك غبي، وانا حاططها بعيونك السود وربعك القعود ، وبالامرأة وماتجيبن ونـٓالفات العسيب » . ثم يذكر ماجرى له بصوت جهوري بحيث يسمعه الحضور من أطراف الخيمة ، ويورد البراهين في ذلك ، الى ان ينتهي ويعود الى مقامه الاول فيقوم المدعى عليه ويجلس في وسط المجلس ، ويكرر المقدمة نفسها : وايش بك ياقاضينا الى آخر الديباجة التي اتينا على نصها بالفاظهم ولغتهم المستعملة في البادية . ثم يفصح عن ادلته . ولا احد يعارضه في شيء . والقاضي بين كل ذلك صامت لايبدي كلمة . وفي آخر ذلك يلتفت القاضي الى المتخاصمين ويقول : أفلحوا وأصلحوا خيرٌ لكم . فاذا أبيا الا اظهار الحق يقول : قدموا الرزقة .

* * *

« الرزقة » — هي اجرة يدفعها احد الخصمين للقاضي تقدر بربع قيمة مايخاصم عليه وقد يجري في هذا التقدير جدال طويل يدوم ساعات من أجل تعيين مقدار الرزقة إن نقوداً او عروضاً كفرس مثلاً أو سيف أو بعير . وربما لم يقبل بها القاضي فيرفض الحكم الى ان يستحسن ما يقدّم له .

والرزقة أنواع كثيرة ، منها مايسمونه رزقة المبطل ، ومنها رزقة الحق . فرزقة المبطل هي التي يدفعها المجرم أو المفتري للقاضي ، ورزقة الحق هي التي يدفعها صاحب الحق . واذا استأنف المحكوم عليه دعواه الى قاض اكبر وحكم له بالحق . وكان قبل ذلك قد دفع رزقات عديدة يردّها اليه المحكوم عليه . لأن للمستأنف الكاسب حقاً بجميع الرزقات التي يكون قد دفعها للقضاة من قبل .

* * *

(الكفلاء) — وبعد ان يتفق الخصمان على الرزقة يجب عليهما ان يقدّم كل واحد كفيلاً يتعهد أمام الشهود بدفع الرزقة اذا ابى الآخر تقديمها . فيقولون : « ترى ياشيخ فلان هذه المسألة في وجهك » . وان كان الكفيل غائباً يقولون : « ترى ان هذه المسألة في وجه فلان » اي أنه يتعهد بدفعها أو يحمل المتخاصمين على دفعها . فيقول القاضي للكفيل :

« عنـدك الشيء الفلاني » فيجيب : « عندي مانطلب ، وحق الله ورسوله اني ما أبوق » (أي لا أخون العهد) .

رأينا أن الكفيل نوعان : غائب وحاضر . فالغائب هو الذي لا يحضر مجلس القضاء حينما ترفع (الدعوى) فيختاره الحاضرون والقاضي لإنفاذ الأمر . والحاضر هو القائم بين الحضور في أثناء الدعوى . على ان لكل منهما واجبات خاصة تختلف عن واجبات الآخر : فالغـائب مضطر الى قبول الكفالة ، والحاضر له الخيار في قبولها أو رفضها . لذلك جاء في أمثالهم : « الغائب مضطر والحاضر حر » . ولا بد للكفيل من صفاتٍ ، أخصهـا أن يكون معروفاً بين العشيرة بصدقه واقتداره على الدفع .

والذين يُحرمون حق الكفالة هم شاهدو الزور ، والجبناء الذين يشردون في الحروب والغزوات ، هؤلاء كلهم مرذولون عند العرب ، لا يُقبلون في مجالس الكرام ، ولا يشربون القهوة في خيام الامراء ، ولا تقبل لهم شهادة . واذا جلس أحدهم في مجلس الشيوخ صب له الشيخ القهوة ، وبينما هو يرفع الفنجـان الى فمه ينزعه الشيخ بعنف منه ويهرق القهوة على التراب ويقول له : انت لا تستحق القهوة ولا لك مقعد بين الرجال .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

(الشهود في الدعوى) — وبعد تعيين الكفيل ، يتجه القاضي نحو المدعي ويقول له : يا فلان ، اذا كان عندك شاهد لا يكذب ولا يوجد عليه اعتراض فليتقدم ويشهد . فيجيب : عندي يا قاضي العرب فلان وفلان وفلان . فيلتفت القاضي الى أكبر الحاضرين ويقول له : وأيش تقول يا شيخ عن فلان ؟ فان كان مقبولُ الشهـادة يقول : « والله انه مقبول الشهادة ، ما انا خاير عليه الذرب الذي يذربه عن الشهادة » وان كان مرفوض الشهادة يقول : « والله انه غير مقبول » .

وقد تقعُ الخصومات في اختيـار الشاهد فمنهم من يرفضه ومنهم من يقبله . ويطول الكلامُ بينهم الى حدّ يسأمُ منه الحاضرون ، الى أن يقرّ رأيهم على شاهدين . فيقفانِ ويقسمانِ القسم البدوي ، يقول كل واحدٍ على حدة : « واللهِ العظيم ، والربّ الكريم ، وحياة العود ، والرب المعبود ، والكاذب ما له مولود ، لا غيظ شافيه ، ولا طمع راجيه ،

(إي إنه لا يحلف لاخذ ثار ولا لاجل مال) الا حق الله من رقبتي مؤديه ، ان هـذا الرجل قد فعل كذا وكذا » .

وللشاهد حق في طلب هدية ما اذ لا بد له من القسم ، والعرب كما أوضحت يرهبون القسم ولو كانوا صادقين . لذلك هم يقدمون للشاهد هدية بدوية كسيف او عباءة او نحو ذلك .

والنساء في جميع العشائر لا تقبل لهن شهادة الا عند عشائر النصارى في الصلت والكرك ومادبا وغيرها في شرق الاردن ، وشهادتهن ثابتة قوية .

* * *

(الحكم) — وبعد ان تنتهي المحاكمة ينطق القاضي بامثال يبين فيها احكام القضاة من قبله في امور جرت من عهد قديم . فيروي حكايات واقعة أو خيالية يذكر فيها الحكم بمبهم الكلام ، وربما أتى بامثال حيوانات تنطبق على الامر الواقع ، حتى يدرك الحاضرون الحكم المراد قبل ان ينطق به . واخيراً يفوه بالحكم القاطع بقوله : « انا من عندي ، ومن عند القضاة الذين قبلي ، ومن عند اجاويد الله مثلكم ، إن فلاناً هو المجرم ، وفلاناً هو البريء » ويورد في ذلك الادلة والبراهين والاسناد كي لا يبقى في الامر ريب . وهنا ينتهي الحكم فيقوم جمهور الحاضرين وينصرفون الى بيوتهم وهم يرددون الحكم المبرم .

* * *

(العقوبات) — والعرب يدعونها الحق . فمنها حق الشتائم ، وحق البيت ، وحق الوجه ، وحق الدخيل ، وحق الدم ، وحق الطنيب ، وحق القصير ، وحق العرض ، وغير ذلك .

وقبل ان نذكر شيئاً من هذه العقوبات عند البدو ، يجمل بنا ان نأتي على ذكر عواطف الشفقة والحلم التي تغلب عند عرب البادية مرات على حب الانتقام ، وتحملهم على الصفح . سمعنا حوادث كثيرة تدل على عفو العرب عن أعدائهم ، ودونكم النادرة الآتية :

كانت النار تضطرم ذات ليلة في مضارب بني صخر ، والكلاب تنبح فتدعو المسافرين الى خيمة الشيخ واذا بشاب لطيف قد نزل عن فرسه وحيا الضيوف قائلاً : السلام عليكم . فقالوا وعليكم السلام . قال حيا الله الرجال ، قالوا حيا الله الرجل . قال الموافي يا غانمين ، قالوا

حيا الله الغانم . ثم جلس بالقرب من الشيخ وبات عند العرب اياماً طوالاً لا يسألونه فيها جهة القصد . الى ان حان وقت طفاء فيه الشيطان فاسقطه في زلة كبرى : ذلك انه رأى ابنة الشيخ فسحر بجمالها ؛ ولما انسدل الليل هجم على خيمتها فقتل العبد الحافظ لها وخطفها وسافر . فذاع الخبر باقل من لمح البصر ولحقه اخوتها الثلاثة . وكان كلما تقدم اليه احد يضربه برمحه فيرميه مجدلاً على الارض . أخيراً لحقه الفرسان فانهزم الى ان لقي خربوشاً (والخربوش هي الخيمة الصغيرة لها عمود واحد) وكان على باب هذا الخربوش شاب في مقتبل العمر فصاح به وقال : يا أبا رشيده انا في وجهك وفي مرقد عيالك . قال : لقيتَ خيراً ومرعى وامانًا . ولما اقبلت العشيرة تطلب الابنة وحق الدم أرجعها الشاب وقال : « هو البيت يحمي الطريد والشريد ، وهو الوجه يدفع صدمات العدو » . فرجع القوم صامتين . وسأل الخاطف الابنة عن صاحب البيت فقالت : « سوَّد الله وجهك هذا ابن عمي وخطيبي قدطلبني فوعد بما طلب ، وقد مهد الصعاب كي يتزوجني اذ قاتل اولاد عمه . » فامتقع لونه وتغيرت هيأته . على ان صاحب الخربوش اكرم مثواه في تلك الليلة ، واعدَّ له خيمة العُرس وزوجه بالفتاة ، ثم صالح العرب مع الشاب وسالمهم وعاهدهم بان لا ينزلوا به ضرراً . هذه حكاية تدل على علو نفس وشهامة قد لا يوجد مثلها بين اصحاب التمدن ، كيف لا وقد صفح هذا البدوي عن قاتل اولاد عمه وخاطف خطيبته وصالحه مع العرب . وهل دفعه الى هذا الصفح الا سمو النفس وحبُّ الذكر ؟

(عقوبات اهل القوارع والشتائم) — يعسر على البدوي احتمال أدنى شتيمة ، لأن العرب طبعوا على حب المجد والشرف ، لذلك هم يعدون الشتيمة أشد تأثيراً من حد السيف وقد تثير الشتائم الحروب في البادية ، وتحمل المشتوم بل واهل المشتوم ابداً على الانتقام .

حكي عن عبدالمهدي قاضي العوازم انه قال : ارباب الشتائم يعذبون باقسا أنواع العذاب . ورويـ أن رجلاً من عرب العدوان رفع يده على ابيه قائلاً « اخس يا شايب » فسمع بذلك شيخ العدوان فامر بقطع لسانه . ويقال إن بدوياً بصق بوجه عدوٍ له فحكم عليه ان تحلق لحيته الى نصف الذقن فقط ويبقى النصف الآخر . ومن شتم من عرب الصخور يدفع للمشتوم فرساً اوسيفاً او بعيراً او ثلاثين ريالاً . وعند بعض العشائر يضرب الشتامون بالسياط حتى يسيل منهم الدم . وبعضهم يضعون دبساً على وجه الشاتم ، ويربطونه باوتاد فيأكله

الذباب ، او يربطونه ويوجهون عينيه الى الشمس · ويروى أن بدوياً اهان اباه اذ رفع عليه محجانة (والمحجانة عصا صغيرة) فألزمه القاضي ان يحرث ارض ابيه مدة سنتين ·

ومن احاديثهم أن قدم شيخ هرم الى قاضي البلقاء ابن قلاب وقال : « وايش بك يا عواد بن قلاب ، يا حامي النسب ، بولد لي ربيته حتى نشأ وكبر ، واليوم قـد جرني بجديلتي الى خارج الخيمة وشتمني » فقال له القاضي « اذهب يا شايب ، ما صنعه ابنك بك سيصنعه به اولاده في المستقبل » وحكم على الولد بان يبني خيمة لابيـه ويدفع له خمسين نعجة ليكرم بها الضيوف · وقد صدق كلام بن قلاب ، فان اولاد الابن جرّوا اباهم الى خارج الخيمة ، ولما انتهوا به الى الموضع الذي اوقع اباه فيه قال لهم : كفاكم أيها الاولاد الاشرار الى هنا فقط جررت ابي ، وتذكر قول ابن قلاب ·

ويروى أن شاعراً من بني حسن هجا ذئبة ابنة الشيخ عوده ابي تايه امير الحويطات · فلما ورد الشاعر الى مضارب الامير قال له عوده : قبحاً لهذه اللحية يا قذاف المحصنات ، لسانك باسم كلسع الحيات · فهرب الشاعر كئيباً ولم يذق طعاماً عند الشيخ · ولما ابتعد في البرية أمر الشيخ عوده احد عبيده فلحق به في الخلاء وقتله على هجائه ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

(حق البيت) — بيت شعر في البادية ، وإن كان خربوشاً ، هو رفيع الشأن عظيم الاكرام عند العرب · ومن اهان بيتاً عندهم اهان اصحابه النازلين فيه ، لا بل اهان العشيرة كلها · ومن تعدى عليه نال جزاء تعديه إهانةً وعذاباً · وهم يعدون اهانةً تكسر شرف البيت تلك التي تحصل من بدويين يتخاصمان في بيت حتى يصل بهما الخصام الى المسبّات والشتائم او رفع الاسلحة · فالبيت يطلب حقه · واذا أُهين صاحب البيت في بيته ، فالبيت وصاحبه كسر شرفهما ، وصار على الشاتم حقان حق البيت وحق صاحب البيت ·

وبعض الاعراب يزعمون أن من ازدرى بالبيت واحتقره ، فقد صنع ذلك ليس نحو الاحياء النازلين به فحسب ، بل تتعدى الاهانة الى أجدادهم وأمواتهم ·

إهانة البيت يحاكم عليهـا امام القاضي · فينتصب المدعي وهو صاحب البيت في وسط الجمـاعة ويقول : « ويش بك ياقاضي العرب ، ياحامي النسب ، بفلان إلي كسر شرفي بقوله كيت وكيت ، واهانني في عشيرتي ، وبحضور جماعتي ، واهان ضيفي ، فودّي منك

ان يبيض الوجه » ثم ترد الشهود وتشهد على صحة مدّعاه · فينتصب القاضي ويقول : « انا من عندي ، ومن عند القضاة الذين قبلي ، فلان كسر شرف البيت وأهان صاحبه وضيفه « ثم يحكم عليه بدفع عشرين ناقةً وخمسين نعجة لصاحب البيت ، وثلاثين ريالاً لضيفه المهان · فيقول المجرم « نعم انا مستعد ، امرك يا قاضينا فوق الراس ، وبعد ذلك يقوم احد الشيوخ الحاضرين ويقول لربّ البيت « حقك على الرأس والعين ، ولكن من شأن الشيخ فلان دع له خمس نياق » فيقول « من شان خاطرك وخاطر السامعين تركت ما تريد » ثم ينتصب شيخ آخر ويقول « يا شيخ فلان اترك له من شان الجماعة ومن شان والديك كذا وكذا » فيقول « تركت ما طلبت » وهكذا الى ان يصبح المطلوب سهلاً وخفيفاً · ثم يبيضون وجه رب البيت المحكوم له وذلك بان ينشروا له راية بيضاء يطوفون بها حول الخيام وهم يقولون « راية فلان بيض الله وجهه » ·

* * *

« حق الوجه » — الوجه عند العرب هو الكفيل الموكل باجراء ما يتفق عليه فريقان من فعل خير او اتقاء شر · والوجه لا يخون صاحبه أبداً ولو فقد ماله وحياته · فاذا باع امرؤٌ ارضاً او فرساً او غيرهما من الأشياء يقول البائع للشاري « ترى بعتك بوجه فلان ان طلبتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » وكذلك الشاري يقول « ترى اشتريت بوجه فلان ، ان ارجعتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » · واذا تشاجر اثنان ثم تسالما يقول الواحد لصاحبه « ترى بوجه فلان تصالحنا ومن اغمز قريبه لا يلوم الا نفسه » · ومن اودع وديعة وخاف عليها من السرقة او من الاتلاف يقول للمؤتمن عليها « ترى فلان وجهٌ عليك » · فمن تعدى على صاحبه في مثل هذه الأحوال يجد امامه اعداء كثيرين بسبب الوجه ، لان العشيرة كلها تقوم مع الوجه يداً واحدة · والمتعدى عليه يلتجئ الى الوجه ويقول له « ياشيخ فلان ، قد صار الأمر الفلاني بوجهك ، وخصمي فلان تعدى عليَّ وكسر وجهك ، فبيض وجهك ووجهي » فيجمع الوجه مجلساً مؤلفاً من القاضي البدوي والامراء المعروفين ويُرسل رسلاً ليأتوا بالمتعدي · فيقصّ الوجه قصته على الحاضرين ، والمتعدي في اثناء ذلك راكع والعقال في رقبته دلالةً على التذلل · ثم يحكم القاضي على المتعدي بدفع ما عليه ويعاقبه بدفع عشرة خرفان للوجه ·

(حق الدخيل) — الدخيل عند العرب هو الرجل المستجير الخائف من امر دهمه او سيدهمه ، فيعمد الى شيخ كبير قوي يستغيث به ويطلب حماه ، ويقول له « انا دخيلك احمني وارحمني » . ورب مستجير يأتي في الليل ويرتمي على فراش الاولاد في خيمة الشيخ ويقول بصوت متقطع حزين « انا بحضارك وموقد نارك ، انا داخل عليك من السيف والحيف ومن فلان صاحب الحق الردي » ثم يبسط له سبب اعتصامه به . فيقول له الشيخ « ابشر بالعز والهناء وعش في ديارنا فرحبا بك » ثم ينزع كوفيته من على رأسه ويضعها على رأس الدخيل ويقول « الله ورسول الله لا احد ينزع من رأسك شعرة » .

وحينما يقبل الشيخ الدخيل في منزله يرسل رسلاً الى عدوّ الدخيل وطالبه يقولون له « ترى فلان دخيل في بيتي احذر ان تصيبه بأذى » فيجيبه الرجل « اطلب خصمي الى القضاء » فيقول صاحب الدخلة « أعطه عطوة » والعطوة في البادية هي هدنة من الزمان يمتنع فيها العدوّ عن الانتقام الى ما بعد المحاكمة ، وهذه المدنة تكون عند بعض العشائر اسبوعين ، وقد تمتد عند غيرها الى اكثر من ذلك ، ومعظمها شهران .

وفي أثناء المهادنة يبعث صاحب الدخلة وفوداً الى عدوّ دخيله ثلاث دفعات متوالية ، مستخدماً الوعد تارةً والوعيد أخرى حتى يرعوي وينثني لحق الذي يحكم به الاجاويد او القاضي ، وان ابى الا الانتقام وأخذ الثار بيده ، يجمع الشيخ فرسانه الشجعان ويقودهم الى منزل العدوّ فيسلبون ما يجدونه هناك من المواشي ويقودونها الى أرض قاحلة لا مرعى فيها فيضطرُّ حينئذٍ الى المصالحة . وان أصرَّ على عناده تموت اغنامه ويصبح فقيراً ولا يحق له ان يطالب صاحب الدخلة بشيءٌ لانها تحسب عقاباً له وهي حق الدخيل .

* * *

(حق الدم) — السنة عند العرب هي « الدم يطلب الدم » على ان من لا يقدر على أخذ ثأره يطلب الدية ، وتدعى عند الأعراب « العقلة » وقدرها ٣٣٦٣٣٣ قرشاً . وقاتل المرأة وخصوصاً العذراء يدفع اربعة اضعاف الدية ، لأن المرأة انسان ضعيف وقتلها جرمٌ كبيرٌ على الرجل وإهانة مُذلةٌ له .

فاذا ذبح أعرابيٌّ عدوَّه يسعى حالاً في طلب امير كبير يحتمي في ظله ويعتصم بمعقله هو وماشيته خوفاً من ان يقتل وفاقاً لسنة الانتقام العاجل التي تعطي اهل القتيل حقاً مدة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاثة ايام ان يأخذوا ثأرهم بذبح القاتل واهله وهدم بيته وسلب ماشيته . فالامير المجير يلتزم أن يبذل جهد طاقته لتخليص المجرم من طائلة هذا الانتقام ، ولو كان القاتل المستجير من اعداء العشيرة ، او عدوه ، او قاتل ابنه او احد اقربائه ، لان الشهامة الأعرابية تحتم عليه ان يحامي عن الضعيف المستجير .

اذا وصل المستجير امام الخيمة وقال لصاحبها « انا دخيلك » او تمسك باطناب الخيمة او وقف امام الخيمة فقط فقد عدّ دخيلاً . وان قتله احد خارج الخيمة قبل ان يبلغها وكان المدى بين مكان وقوعه قتيلاً وبين الخيمة التي أتى ليستجير بصاحبها لا يتجاوز رمية عصا ، فقاتله يضطر الى دفع دية الدم وحق الدخلة .

وعند ما ينزل القاتل عن فرسه يذهب توّاً الى فراش الامير فيجلس عليه ويقول « انا دخيلك بعيالك وحلالك ، من الخط المذكور ، والسيف المجرود ، والظالم الحقود ، والكاذب ما له مولود » فيجيبه الامير « يا هلا ، ابشر بالعز وطيب المنزل » عند ذلك لا يهتم القاتل بشيء بل يعيش بصفاء ، والسعي كله يعود على المجير . فيرسل بعثات متتالية الى اهل القتيل كي يقبلوا المصالحة ويأخذوا دية الدم . على انهم يرفضون الصلح دائماً في اول مرة ، ويطلبون الدم بالدم ، ويذكرون الدم المهدور ، الصارخ الى السماء ، الطالب الانتقام . فيعود الوفد الاول خائباً . على أن المجير لا ييأس من هذا الجواب المؤلم لأن هذه هي العادة عندهم ، فيعيد الكرّة بعد ايام مرسلاً اليهم وفداً اكبر كي يصلحوا ذات البين ويأخذوا الدية ، فيرجع ايضاً الوفد الثاني مكسور النفس . وفي غالب الاحيان يصير الصلح بعد المرة الثالثة لان العرب ترتفع بهم العواطف النبيلة اذا شاهدوا كبراء البيداء متذللين أمامهم . ولكن ان ابى اهل القتيل المصالحة بعد المرة الثالثة ، فتلك دلالة على انهم لا يريدون الا الانتقام ، ويجب على القاتل حينئذ ان يهرب في ظلمات الليل الى بلاد بعيدة ويحتمي بقبيلة شهيرة .

والذين تصيبهم سهام الانتقام هم اهل القاتل واقرباؤه الى الدرجة الخامسة اي ابو القاتل وجده واولاده واولاد اولاده واعمامه وابناء اعمامه . اما الاباعد من الأسرة كابن العمة وابن الخالة ونحوهما فلا يؤذى بضرر بل يقدم لاهل القاتل بعيراً يسمى عندهم « بعير النوم » ويبقى في خيمته غير خاش صولة الاعداء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(حق الطنيب) — ويدعى ايضاً حق القصير ، والطنيب تصغير الطُنُب وهو حبل الخيمة . وعند العرب الطنيب هو الجار المستجير ، ويعتبر طنيباً اذا علّق بعض آلات صناعته على طُنُب من أطناب الخيمة ، ومنهم من يكتفي بالكلام فقط فيقول : « ياشيخ فلان يا أبا فلانة انا طنيبك » فيقول له « ياهلا بك » .

فمن الأعراب من يترك عشيرته وبيت ابيه فيحمل خيمته ويرفعها الى جانب شيخ عظيم ، ويكون ذلك اذا خشيَ عدوّاً لا يقدر على مقاومته أو وجد ضدّه عدداً وافراً من الاعداء لا يستطيع منازلتهم أو قدم طلباً للرزق والشغل عنده في حراثة ارضه . فما من احد إذاً يضطر الى مجاورة أمير غريب عن عشيرته ووطنه الا ان يكون ضعيفاً أو فقيراً . ويقول العارفون بعادات العرب ان الضيف يسمى عندهم ضيفاً مدة ثلاثة أيام وأن طال مكثه عُدّ طنيباً . وكم من قاتل مثلاً نزل بالقرب من أمير كبير في بلاد بعيدة عن وطنه فسمي باسمه وتطبع بطبائع عشيرته وقد نسي أصله ونسبه بعد طول الزمان .

ومن غريب مايجري في هذا الحق إن بعضاً من التجار ينزلون في خيام العرب أو عند الشيخ ليبيعوا بضاعتهم من ملبوس ومأكول في حماه ، فيصبح شأنهم شأن طنيب هذا الشيخ أو قصيره . ويلتزم الشيخ ان يجمع لهم ديونهم من المديونين لهم واذا تعصب المديون وامتنع عن الدفع يضطر الشيخ نفسه الى الدفع كي يبيض وجهه أمام القصير . واذا سُرق شيء من القصير ، فعلى الشيخ ان يسعى باسترداده له .

* * *

(حق العرض) — البادية بلاد نظيفة عن المنكرات ، وهي في هذا الباب أشرف من المدن المتحضرة حيث يظهر المنكر ظهوراً جلياً على حد ما قال الشاعر الشعبي : « ما في شي اسمه عيب » . فالنساء في القفر على الجملة عفيفات يتجنبن الطرق السافلة وأبواب المحرمات . وقد تسير المرأة البدوية وحدها في البادية ترعى الابل والنعاج ، ولا يعارضها احد أو يتعدى عليها .

على ان جرماً من هذا النوع كثير الحدوث في البيداء ، الا وهو الخطف . وكم من شيخ بكى على ابنة له كانت سعادته في هذه الدنيا ، فغابت عن انظاره في ليلة دامسة ، وبات

هو يطوي الأيام والأوقات بالحزن والبكاء . وهم يقولون فلانة خطفت فلاناً . ولا يقولون فلان خطف فلانة .

اذا رام الشاب البدوي ان يتزوج بابنة على غير إرادة أبيها واتفق معها على خطفها يتواعدان الى زمان ومكان محدودين ، فاذا ستر الليل الارض يأتي الى الابنة ويردفها وراءه على فرسه ويهرب بها الى بلد بعيدة . وربما وجدها واردة على عين ماء أو في حقل فخطفها بعد ان يكونا قد اتفقا . ولا بد للخاطف من عقاب شديد اذا وقع .

قلتُ ان الخطف كثير في عرب البادية . وقد لا يمر شهر الا ويسمع فيه خبر كهذا بين الأعراب ، والحق في ذلك في غالب الأحيان على أهل البنت الذين يطمعون ببيع بناتهم بأثمان باهظة حين زواجهن ، فان البنت عند العرب تكون لمن يقدّم مالاً وحلالاً أكثر من سواه ، لذلك يصير الزواج عندهم على غير حب ووداد .

فاذا خُطفت ابنةٌ وكان خاطفها من قبيلة قريبة ، ركب أهلها وأقاربها ليرجعوا الشرف المفقود والابنة الهاربة ، ولهم الحق بان يصنعوا ما يشاؤون في مدة ايام ثلاثة فقط يسوغ لهم فيها ان يقتلوا الخاطف ويملكوا غنمه ، ويهدموا خيمته ، ويذبحوا فرسه ، وهم يسرفون بما تصل اليه ايديهم إسرافاً لا يستبقون لانفسهم منه شيئاً وان هم استبقوا رذلوا وأهينوا ، واذا مضت الأيام الثلاثة ولم يظفروا بالخاطف ولم يستطيعوا فيها إرجاع شرفهم المفقود ، حل بهم العار والخجل ، فيرحلون وينزلون وحدهم مؤثرين العزلة والغربة . والخاطف يتزوج بالفتاة التي خطفها آمناً لا حرج عليه .

وفيما خلا الخطف ، فمن اقدم من البدو على الفواحش بنفس راضية ، يردعه الشيخ مع وجوه العشيرة مرات عديدة ، وان هو لم يرتدع يحكمون عليه بالنفي ، ويكون دمه مطلولاً لا يطالب به وهي عادة محمودة تحمل العرب على تجنب المنكر خوفاً من العقوبات الصارمة .

ومما يخفف وطأة الفواحش في البادية خوفهم من العار والهوان ، لأن البيداء لها آذان تسمع وعيون تنظر ، فلا يخفى فيها خافٍ ، ولا يوجد فيها سرٌّ مكتوم . قال احدهم ان أهل البادية كالمشرفين على رأس الجبل ، يراقبون الحركات والاشارات الخفية ، ومن وُجد جرم فظيع في بيته قد تُحرق خيمته ويُنثر رمادها في الهواء .

ولقد اتخذت العرب وسائط فعالة لمنع الفواحش ، فاذا أحسّ أبٌ بجرم ابنته يقطع رأسها ويعلقه على رمح ويطوف به في كل القبيلة قائلاً : « هكذا يعاقب المجرم » ومنهم من يئدها حيةً فيغطيها بالتراب الى ما فوق رأسها . ومنهم من يغمرها بالتراب الى رقبتها فقط ، فتأتيها الوحوش وتذيقها من العذاب أمرّه . ومنهم من يسقيها السم . ومنهم من يضع على جسمها دبساً أو عسلاً ويتركها فريسة الذباب تموت أشنع الميتات . ومنهم من يأخذها الى الفلاة فيضربها ضرباً أليماً ، ثم يربطها بأوتادٍ في الأرض حتى تفترسها الحيوانات الضارية . وقد سمعنا أن رجلاً ألقى إبنته في بئر عميقة . وأن غيره ربطها الى شجرة جرداء وكان وجهها الى ضياء الشمس فاحترقت وماتت من الجوع ووقدات الأشعة وأكثر الناس يذبحونها بلا شفقة بسيف حادٍ أو يقتلونها برصاصة في رأسها . وقرأت أن أباً ترك ابنته خارج المحلة على صخرة شاهقة في فصل الشتاء القارس ، وكانت الامطار تهطل الرعود تقصف والثلوج تسقط ، فماتت وقد جمد دمها ويبست أعضاؤها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما شيزر فقد قال عنها ياقوت : شيزر قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن(!) عليه قنطرة في وسط المدينة وتعد من جند حمص ·

وقال ابو الفداء : شيزر من جند حمص ذات قلعة حصينة والعاصي يمر من شماليها (وصوابه من شرقيها) وينحدر عندها على مسكر ارتفاعه يزيد على عشرة اذرع يسمونه الخرطلة وهي ذات اشجار وبساتين وفواكه كثيرة اكثرها الرمان ولها سور من لبن وثلاثة ابواب ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال الاصطخري : واما شيزر وحماة فانهما مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع ·

وقال شيخ الربوه : وشيزر مدينة حصينة وبية (وبيلة أو وبيئة) تشرب اهلها وارضها من النهر العاصي ولها قلعة طولها ظاهر تسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بالعاصي اه ·

قلت لم يبق في شيزر من الفواكه اثر يذكر ما عدا قليل من الرمان وحالة الازوار والبساتين ايضاً وسطى ومسكر الخرطلة قد دثر اكثره وتنوسي اسمه · والبلدة ذات السور والابواب الثلاثة التي كانت في اسفل القلعة قد عفت رسومها ولم يبق منها الا بعض اسس الجدران وكسور الحجارة والاعمدة وصار مكانها قباب حقيرة بين الجسر وباب القلعة يقطنها العمال في ازوار شيزر ، والبلدة العليا التي كانت في داخل القلعة خربت وصار مكانها قرية بنيت بركام الانقاض يقطنها فلاحو الأرض العذبة ، ولا يزيد عدد الجميع عن الاربعمائة جلهم من السنيين وقليلهم من النصيرية والاسماعيلية ·

وخلاصة تاريخ شيزر ان فراعنة مصر عرفوها وذكروها في رقم تل العمارنة المسمارية باسم سنزار وعرفها اليونان وسموها لا ريسا قيل ان سلوكس نيكاتور فضلاً في ترميمها وتحصينها وذكرها امرؤ القيس في قوله :

تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بسير يضج العود منه يمنه اخو الجهد لا يلوي على من تعذرا

وذكرها عبيد الله بن قيس الرقيات في قوله :

قفوا ونظروا بي نحو قومي نظرةً فلم يقف الحادي بنا وتغشمرا
فوا حزناً اذ فارقونا وجاوروا سوى قومهم اعلى حماة وشيزرا

فتح المسلمون شيزر عام ١٧ هـ وذلك عقب استيلائهم على حمص وحماة بقيادة ابي عبيدة ابن الجراح . ولما كانت شيزر وجارتها أفامية على الطريق الذي تسلكه أكثر القوافل والجحافل القادمة من شمالي الشام او جنوبه ولتسلطها على وادي العاصي كانت لها مكانة حربية مهمة وكانت شيزر على الاخص تعد مفتاح بلاد الشام . لذا بقيت بعد دخول المسلمين عرضة لهجمات الروم المتتابعة فكانوا يستولون عليها تارةً ويخسرونها أخرى الى ان استقرت في ايديهم نحو ٨٣ سنة حتى سنة ٤٧٤ هـ التي جاء فيها سديد الملك ابن الحسن علي بن منقذ الكناني . قيل انه عمد الى تل الجسر (اي جسر بني منقذ الذي يقال انه كان بعيداً عن القلعة نحو كيلو مترين للغرب) فعمره حصناً وجمع فيه عشيرته ونقر على حصن الجراص الذي ذكرنا موقعه وهو يبعد نحو ٢٥ كيلو متراً غربي وادي الغاب فأخذه بالسيف من الروم ثم نازل شيزر فتسلمها من اهلها بالأمان . وفي زمان امارة ابنه ابي العساكر سلطان لم تسترح شيزر من توالي غزوات الاسماعيلية واعراب بني كلاب والروم والصليبيين وفي كل مرة كانت تنجو من السقوط بفضل مناعتها الطبيعية وحصانة قلعتها وبسالة اصحابها بني منقذ . وظلت شيزر بيد هؤلاء الى سنة ٥٥٢ وهي السنة التي حدثت فيها زلازل هائلة اخربت كثيراً من المدن والحصون في شمالي الشام وكان اشدها كما قال ابن الأثير في حماة وشيزر فانها خربتا بالمرة . وكان بنو منقذ مجتمعين في وليمة ختان فهلكوا ولم ينج احد ممن كان منهم داخل القلعة الا امرأة أخرجت من تحت الردم . وكان أسامة

غالباً في دمشق فجاء بعد الزلزلة وعاين مافعلته بشيزر واهله فبكاهم ورثاهم بغرر القصائد ٠ وجاءها نور الدين محمود بعد الزلازل فرممها وجددها فيما جدده من بقية الحصون واقطعهـا الى احد امرائه مجد الدين ابو بكر بن الداية ولما مات انتقلت لأخيه سابق الدين عثمان الذي ظل فيها وفي حصن ابي قبيس الى بعد وفاة الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب فصار من عمال ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب٠ ولما مات سابق الدين انتقلت لابنه شهاب الدين يوسف ٠ وفي سنة ٦٣٠ تجاهر هذا بالعصيان فجاء الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي وحاصره واسترد شيزر وابا قبيس منه فهنأه يحيى بن خالد القيسراني بقوله :

يا ملكاً عم اهل الأرض نائله وخص احسانه الداني مع القاصي

لما رأت شيزر آيات نصرك في ارجائها القت العاصي الى العاصي

ولما جاء التتر بقيادة هولا كو هدموا اكثر القلاع التي كانت للأيوبيين ولا بد أن يكونوا نالوا ايضاً من شيزر لأنها ذكرت في جملة القلاع التي رممها الملك الظاهر بيبرس في أواخر القرن السابع ٠ ولما جلس الملك المنصور قلاوون الصالحي ظلت شيزر كسابقتها أفامية مدة سنة في يد الأمير العاصي سنقر الأشقر ثم استرجعها قلاوون منه صلحاً في سنة ٦٧٩ ورمم بعض ابراجها وبقيت في حوزة الخلافه المماليك الى ان دخل العثمانيون ٠ ولعل خراب شيزر الحالي بدأ قبيل دخولهم هذا ٠ ومهما يكن فأن شيزر بعد استيلاء العثمانيين على بلاد الشام كلها وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لها كما قلنا في أفامية مكانة حربية بل ظلت كما هي الآن قرية يعتصم أهلها من البدو والتعديرية الذين كانوا يغيرون عليها ايام الامن في عهد المماليك والعثمانيين ٠

وقلعة شيزر بنيت على ظهر أكمة صخرية منتصبة على يسار العاصي شبهها العرب لنتوئها بعرف الديك ٠ ويمر نهر العاصي من شرقي هذه الاكمة بعد ان يلتوي في منعرج ذي زاوية قائمة ويجري في وهدة عميقة ٠ فالقلعة منفصلة عما يجاورها في شرقيهـا وشماليها وغربيها بفضل المنحدرات الصخرية العميقة المحيطة بها والتي تعلو نحو ٤٩ — ٥٠ متراً٠ اما في الجنوب فقد كانت أكمتها متصلة بالجبل المجاور الى ان حفر القدماء فيـه خندقاً عريضاً وعميقاً فصلوها به عنه وبنوا فوق الخندق برجاً كبيراً سيأتي وصفه ٠ وفي رواية انهم كانوا عند

مهاجمة الأعداء يرون مياه العاصي من هذا الخندق بعد سدّ مجراه بسكر لعله سكر المرطلة الذي نوّه به ابو الفداء فاذا مرت هذه المياه وطغت على السهل الغربي تصبح شيزر كجزيرة لا يعود بامكان العدو الاقتراب منها ·

وقلعة شيزر خراب في الجملة لم يبق منها سالماً الا طرفاها الشمالي والجنوبي ·

يدخل القاصدون من بابها الكائن في الجهة الشمالية بعد ان يجتازوا جسراً حجرياً بني فوق وادٍ ضيقٍ وعميق · وكان هذا الجسر في العصور الوسطى من الخشب وهو نقّال يرفع عند اللزوم · اما الحالي فحجري يعلو طبقتين من القناطر · ولشدة الانحدار جعل ممشاه ذا درج مرصوف ببلاط كبير وجعل على طرفيه درابزين يوشك ان يتداعى · أما مدخل القلعة فقد جعل في جوف باشورة بارزة الى الأمام بنيت بقطع ضخمة من الحجارة التي يدعوها البناؤون في دمشق (غشيمة) و(سورية) والأولى غير منحوتة الا قليلاً والثانية منسوبة للأسوار تكون نائتة في وسطها · وحشي بين هذه الحجارة قطع من الأعمدة لتشد ارتباط المداميك بعضها ببعض ·

ARCHIVE http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

وفي المدخل فرضة تعلوها قوس من النوع الذي يدعوه البناؤون في دمشق (قوس على الخمس) · وفي جوف الفرضة باب ذو أسكفة مستقيمة وفوق القوس كتابة عربية طويلة فيها اسم الملك المنصور قلاوون الصالحي في سنة ٦٨٩ على احجار الجدار الظاهرة · وفوق الكتابة بقليل زغلولان لرمي السهام ونافذة مربعة الشكل · وفي الطابق الأعلى من القلة نافذة أخرى مربعة لا يزال يعلوها زافرتا مرمى كان مخصصاً لحراسة المدخل · وقد هدمت الباشورة حتى وصلت الى مستوى هاتين الزافرتين · وعلى يمين الباشورة قلة هرمية الشكل أقسامها العليا مهدومة ، وأقسامها السفلى راكبة على سفح عريض مبلط احدجوانبه يلتصق ويحيط بالباشورة التي تقدم ذكرها والضلع المجسم الشمالي الغربي لهذا السفح المستدق قطع وأعرض وذلك لدفع شر رماة السهام والنقابين · وتحت الباشورة ساباط معقود يدخل منه الى ساحة القلعة التي ملئت ببيوت القرية المبنية من أحجار السور المهدوم ووراء الباشورة وأطلالها سراديب معقودة متداعية كانت توصل من القلعة الى العاصي · وثمة درب ضيق بين بيوت القرية يأخذك الى قبلي القلعة فتجد فيها البرج الكبير ·

وهذا البرج في أضعف نقطة من نقاط الدفاع فوق الخندق الذي تقدم ذكره لذلك بني بعناية خاصة ، فأحجاره (غشيمة) و (سورية) وهي هنا أضخم وأدق عملاً من حجارة الباشورة ، وفي عرض جدرانه حشيت قطع كثيرة من أعمدة الروابط لتزيد انضمام الاحجار الخارجية بالداخلية . وشكل البرج منشور ذو وجوه مستطيلة وله في جهته الشمالية بروز تميل فيه المدخل ، وقد جعل هذا المدخل في مخترق زاوية معرضة للقذائف المتشابكة التي تلقى من طوابق البرج العليا ، وهذا من قواعد الهندسة العربية في المباني العسكرية . وعلى جدار البرج كتابة باسم الملك العزيز محمد صاحب حلب سنة ٦٣٣ والصاعد من درج المدخل يصل الى طابق تحته اقبية معقودة لعلها كانت صهاريج ماء او مخازن مؤنة ، وثمة درج يؤدي الى طابق ثان ثم الى السطح . وفي الطابق الاول غرفتان كبيرتان عقودهما مرتكزة على عضادات وجدرانها مثقوبة بكوى للنور وزغاليل غريبة الاشكال . ويشتمل الطابق الثاني على الاوضاع ذاتها ، اما السطح فقد هدم منه جدار الدفاع الذي كان مضرساً بشراريف عديدة اه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال الاثري (فان برشم) في كتابه « رحلة في الشام » الذي اعتمدنا عليه في وصف شيزر ان باشورة باب القلعة من آثار نور الدين محمود دون غيره على الرغم من ان الملك المذكور : قلاوون استكتب اسمه فوق الباب اذ لم يكن له فضل في غير ترميم بعض اركانها وان القلة والسقع من آثار الملك الظاهر بيبرس ، والبرج الكبير القبلي ربما كان من آثار نور الدين محمود دون غيره لأن الكتابة التي فوق باب زيدت بعد البناء ولعل الملك العزيز محمد رمم المداميك العليا فقط . وقال ايضاً : ان الصليبيين على الرغم من مهاجمتهم شيزر مراراً لم يستطيعوا اقتحامها واذن تكون هذه القلعة عربية بحتة من آثار مهندسي العرب دون سواهم في القرنين السادس والسابع ، وبرهاننا على ذلك تخطيط سورها ورفع الحيطان الجامعة بين ابراجها وهذه الابراج المربعة القليلة البروز وشكل بناء الباشورة والبرج الكبير المحشوة جدرانها بأعمدة الروابط واقسام البرج في الداخل واتساق مراكز الدفاع فيه وفقدان اي قطعة مرخمة او مهندمة على الطراز الغربي اه .

قلت وهذه احدى شهادات هذا العالم الأثري الاوربي الذي اختص بدرس المباني

العربية القديمة تدل على ما كان عليه أسلافنا من البراعة في تشييد القلاع والحصون وإحكام وسائل الدفاع والحصار فيها ، مماينبغي له علم غزير وخبرة واسعة في فنون الحرب والهندسة والبنيان • ومن أكبر دواعي الأسف ان لانعرف اسماء المهندسين العسكريين الذين خططوا قلعة شيزر وامثالها من القلاع العربية في القرن الخامس والسادس والسابع ، وصورة انشائها بهذا التأليف البديع والاتقان الغريب وان نجهل القواعد والمسميات التي كانوا يتبعونها و يتداولونها في تشييد الاسوار والابراج والثقوب والمرامي واقسامها البارزة والغائرة فيتعذر علينا تعريب ما كتبه عنها علماء الآثار من الافرنج بالحرف • ولو سمح الدهر بابقاء شيء من مؤلفاتهم التي لا بدان يكونوا عنوا بوضعها ومنها كتاب القلاع والحصون لأسامة بن منقذ او لو عني مؤلفو كتب التراجم بهؤلاء المهندسين والبنائين وغيرهم من ارباب الصناعات الدقيقة مثل إكثراثهم بترجمة الشعراء والكتاب والزهاد والمتقشفين إذن لعرفنا شيئاً من قواعدهم أو مسمياتهم فتمكنا من وصف مابنوه وصفاً علمياً هندسياً تعرف به خطوطه ومقاييسه واشكاله واوضاعه وجنس المواد والحجارة التي يتألف منها وكيفية تركيزها وترتيبها والغايات المنشودة من اختلاف الابراج والقلل والنوافذ والمرامي وكبرها وصغرها وتقويتها وتدبيرها وما كان بوضع او يعمل في ارجائها واجزائها •• الخ لا كما يذكره كتابنا الذين يهيمون في وادي الخيال فيقولون كما قال شهاب الدين محمود في وصف حصن: حصن قد تقرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسا اصله الى النجوم تخال الشمس اذا علت انها تنتقل في ابراجه ويظن من سها الى البها انها ذبالة في سراجه ••• الخ ماهنالك من الاغراق الذي ليس فيه شيء مما يدل على هندسة هذا الحصن وكيفية بنائه ، وكلهم نحى هذا النحى •

هذا وقيل ان بين شيزر وقرية الزلاقيات التي تبعد عنهـا نحو اربعة كيلو مترات الى الشرق قناة قديمة متفرعة من العاصي تسير في نفق محفور في حلف الجبل الى ان تصل قرب القلعة الى فوهة يدعونها الشلفة تعلو بضعة أمتار فيتحدر منها الماء كالشلال بهدير قوي •

وجاء في كتاب الاعتبار لأسامة اسم بندرقتين وانها كانت قرية عند المدينة والآن لايعرف لها خبر ولا أثر • وجسر شيزر رم مراراً في الماضي وبني مجدداً في سنة ١٣٤١ هـ

ويظن انه ليس هو جسر بني منقذ الذي كان حوله تل وحصن ذكرهما أسامة في مواضع عديدة وقبله جده ابو الحسن علي بن منقذ الكناني وهو باني الحصن قبل نفرته على حصن الجراص واستيلائه على حصن شيزر كما اسلفنا ٠

قال فان برشم : بحثنا كثيراً فلم نعثر على اثر لحصن الجسر الذي يفهم من كلام أسامة انه كان في ضفة العاصي اليمنى اقيم لحماية جسر بني منقذ ٠ ونظن ان هذا الحصن والجسر كانا في موقع يبعد عن شيزر للغرب نحو كيلو مترين حيث ترى عضادتين بارزتين من العاصي تقاومان جريانه الشديد اه ٠ قلت ويؤيد عبارة فان برشم ما جاء في ص ٢١٨ من كتاب الاعتبار ان حصن الجسر كان كثير الصيد يذهب اليه والد أسامة وابناؤه ومعهم البزاة والفهود والكلاب يصطادون الطيور والدواب التي قدمنا ذكرها وانهم كانوا يعودون من الصيد وينزلون على بوشمير وهو نهر صغير بالقرب من الحصن ٠ فلو كان حصن الجسر في قرب القلعة كما ظنه بعضهم لما اقتربت طيور الصيد ودوابه كما انه ليس في قرب الجسر الحالي نهر او جدول يدعى بوشمير ٠ ويستحيل على ابي الحسن علي جد أسامة ان يبني مثل هذا الحصن في جوار القلعة لما كانت بيد الروم ثم يناوشهم منه ٠

هذا والواقف فوق سطح البرج يطل على مناظر عديدة منها في الشرق الهضبة العالية التي يفصل العاصي بينها وبين اكة عرف الديك وكانت قواد الجيوش المحاصرة لشيزر تجعل مخيمها في هذا الموقع المشرف على القلعة وتنصب فيه المنجنيقات وتضربها منه ٠ وفي هذه الهضبة قبة فيها مسجد وضريح ينسب الى ابي عبيدة وصوابه ان اباعبيدة لما جاء ليفتح شيزر خيّم فيه فاتخذه الناس بعد مقاماً له وبنوا هذا الضريح وذلك المسجد ٠ قيل ان في جدار المسجد حجراً زبرت عليه كتابة تدل على ان منشئ هذا المكان هو السلطان مراد ابن السلطان سليمان العثماني الذي حكم بين سنتي ٩٨٣ — ١٠٠٣ ٠ واذا تطلع الواقف نحو العاصي يراه خارجاً من الوهدة العميقة المحصورة بين الجبلين ليلاقي السهل الفسيح الممتد في الغرب جارياً بهدير قوي لشدة الانحدار هنا ٠ ويتجه النظر مع العاصي ومنعرجاته التي تكثر في هذه البقعة فيرى ازوار شيزر وعلى بعد خمسة كيلو مترات قرية التريسة وأزوارها وفي شماليها تل الطويل ولعله تل التلول الذي ذكر محرفاً في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ

وبعدها قرية الصفصافية وجسر الفجرة . ثم بطائح الغاب وآجامه وهي علة وخامة المرتع في هذه الربوع .

وفي السهول والتلعات الغربية الممتدة من قرب شيزر الى سفح جبال النصيرية الخضراء قرى وضياع عديدة تتبع حكومة اللاذقية آهلة بالنصيرية نخص بالذكر منها في السهل تل سلحب وهي كبيرة مستوبلة تحيط بها بطائح الغاب من الشرق والشمال وفي ذيل الجبل قرية دير شميل كانت من حصون الفرسان الاسبتاريين فيها دار حكومة مذ كانت قاعدة للناحية وفي شماليها حصن خراب نظن انه حصن الخربية الذي ذكر اسامة أنه كان عليه للافرنج ديدبانًا يكشف مسلمي شيزر اذا ارادوا الاغارة على أفامية مع ملاحظة ان البعد بين هذا الحصن وشيزر ثلاثة عشر كيلو متراً . وفي غربي دير شميل على رأس احد اذيال الجبال المرتفعة حصن آخر خراب اكبر من الاول يدعى ابا قبيس يطل على واد يجري فيه نهر ابي قبيس احد روافد الغاب وقد مر ذكر هذا الحصن في تاريخ شيزر، وهو احد قلاع الدعوة الاسماعيلية المنتشرة في هذه الجبال منها — غير ما عددناه سابقاً — مصياف والكهف والعليقة والمنيقة وبكسرائيل وغيرها . وجبال النصيرية المتجهة نحو الشرق الشامخة كالجدار بين هذه البقاع والبحر تدعى هنا جبال الكلبية تؤلف كورة واسعة قاعدتها مصياف تتبعها قرى كثيرة مما عددناه وغيره يقطن اكثرها النصيرية واقلها الإسماعيلية اشتهرت بعنبها وتينها ودود حريرها وحراجها وينابيعها المتدفقة .

هذا وبعد ان انتهيت في ربيع سنة ١٣٥١ من زيارة هذه القلعة والاحاطة بما وصفته آنفًا تأملت وانا على سطح ذلك البرج في حاضر شيزر وغابرها ورحت في فضاء التفكير أجل قدر الذين انتقوا هذا الموقع الحربي الهائل ، واتخيل المعارك الطاحنة التي كانت تدور تحت اقدامه بين الجيوش المحاصرة والمدافعة عنه ، وأكاد أسمع قراع الرماح ووقع السيوف ورنين القسي ، وارى القتلى والجرحى ملأوا السهل فجبلت هذه التربة الحمراء بدمائهم او صبغ العاصي بها .

واتذكر الوقائع التي كانت تجري في هذه الضواحي لبني منقذ الاشاوش لاسيما لنابغتهم البطل العالم الشاعر أسامة صاحب كتاب الاعتبار وكيف كانوا شجا في حلوق

الروم والصليبيين يستبسلون رجالاً ونساءً في دفع غاراتهم وغارات البدو والاسماعيلية وغيرهم وكيف كانوا يصطادون الأحجال والأرانب في الجبل قبلي البلد وطير الماء والدراج واليحامير والغزلان على العاصي في الأزوار غربي البلد واخيراً كيف قضت عليهم الزلازل فأفنتهم وخربت هذا الحصن الهائل المرمى بجملته كما قال أسامة « متهيلاً مثل النقا المتهيل » وانصور نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٢ والملك العزيز محمد صاحب حلب ومعه ابن عمه الملك المظفر محمود صاحب حماة في سنة ٦٣٠ والملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ والملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٩ يأتون كل في يومه وورائه وزراؤه وقواده وحرسه الخاص بزتهم وابهتهم يه هدون الى هذه القلعة ليعاينوا مافعلته الزلازل والحروب في اسوارها وابراجها ويتجولون بين اطلالها وركامها متأسفين ومحوقلين فيأمرون باحضار المهندسين والبنائين ليرمموا ويجددوا مافعلته فيها طوارئ الحدثان فتنفذ اوامرهم بتحقق رغائبهم فوراً .
واتأمل بلدة شيزر السفلى ذات السور والأبواب الثلاثة والمنزهات والبساتين والزروع والفواكه الكثيرة التي كانت فيها واسأل كيف عفت عوادي الزمان رسومها فاصبحت ضيعة صغيرة وبيلة والبلدة العليا التي كان يتزهاها امراء وجنود الغزاة يعدون بالألوف كيف اصبحت الآن كالاطلال الدارسة سكانها الائل الاحون بينهم بيت قديم يعرف بالشيزري باعوا قريتهم وموئل سؤددهم لبعض سراة حماة فاصبحوا صعاليك مماليك في غاية من البؤس والجهل لا سيما في معرفة ما كانت عليه هذه القلعة ومن سادوا وشادوا فيها . فسبحان محول الأحوال يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

هذا والطريق بين شيزر وحماة تبلغ نحو ٢٤ كيلو متراً والسائح بعد ان يصعد من وادي شيزر يجتاز سهولاً شاسعة ذات تربة حمراء فيمر من غربي قرية كبيرة تدعى محردة قصبة ناحية طار العلا ذات دور حجرية بيضاء اهلها من طائفتي الروم السريان يبلغون ثلاثة آلاف وهي قريبة من العاصي عرفت بجمال نسائها وسعة كرومها الممتدة عن يمينها ويسارها .
وفي شرقيها قرية كبيرة أخرى تدعى حلفايا اشير في إحدى الخرائط الحديثة الى قناة ماء مندثرة تأتي اليها من حول قرية معرزاف وتسير شمالاً مجتازة العاصي الى قرية اللطامنة فمورك . والعاصي القادم من حماة بعد ان كان يتجه من الجنوب الى الشمال ينعطف نحو

الغرب بين قريتي حلفايا والطامنة عند طاحونة الوعرة وبعد ان يجتاز من شمالي حلفايا ومحردة على مقربة منها يتجه نحو شيزر كل ذلك في وهاد سحيقة ومنعرجات عديدة . والباحث بن العاصي ومجراه في هذه الربوع لا يسعه الا ان يتسائل عن موقع دير القديس مارون ابو الطائفة المارونية الذي قيل انه كان على العاصي بين شيزر وحماة ويظهر ان الروم البيزنطيين في القرن الأول للهجرة لما خربوا هذا الدير وذبحوا رهبانه عفوا رسومه بالكلية فأصبح لا يعرف له اثر ولا خبر . هذا وبعد محردة يغادر السائح على يمينه ضياع عديدة منها تل سكين قمادة ومعزاف وقد ذكرهما — أسامة بن منقذ في كتابه . وبعد المجدل يجتاز نهر الصاروت احد روافد العاصي وعليه جسر قديم ٤ وهذا النهر يتألف من اودية وجداول تنحدر نحوه من اذيال جبل الكلبية بين بعرين ومصياف . ثم يرى على يمينه من الضياع الشير وفي غربيها كفر عميم والتويم وام الطيور وفي جنوبيها كفر العاون وتل سكين الصاروت ويلمع في جنوب هاتين القريتين اطلال عالية لقصر قديم في قرية تيزين قيل انه كان مصيفاً للملك المظفر محمود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويلمع في الافق الشرقي البعيد جبال العلا يظهر منها جبل الفانات وجبل كاسوف (علوه ٥٨٦ متراً) وتمتد هذه السلسلة في الشرق الجنوبي الى قلعة شميميس وبلدة سلمية التي اشتهرت بقنيها الرومانية وكرومها وبساتينها وبأنها منشأ الدعوة الاسماعيلية وموطن اول هذه الشيعة قديماً وحديثاً عمروها بعد دثورها في آخر القرن الماضي وجعلتها الحكومة قاعدة قضاء تتبعه قرى وضياع عديدة تمتد الى سفوح جبل البلعاس سكانها من الاسماعيلية والنصيرية وقليل من السنيين والشركس . ويلمع ايضاً قرون حماة وهما جبلان متقاربان يبعدان عن حماة الى الشمال نحو عشرة كيلومترات يدعى الكبير منهما زين العابدين (٦٣١ متراً) والصغير كفر راع (٦٤٥ متراً) وفوق الأول جامع مهجور ذو قبتين يضاوبين من آثار الملك الأشرف قيتباي في سنة ٨٨٣ وفي الجامع مقام يسمى زين العابدين (؟) تقصده النصيرية من جبال الكلبية بالزيارة وحولها قريتا الهاشمية وكفر راع . وقداشتهرت قرون حماة بالمصاف الذي وقع حولها في سنة ٥٧٠ بين صلاح الدين الأيوبي وصاحب حلب الملك الصالح اسماعيل بن نورالدين محمود وابناء اعمامه الذين جاؤا من الموصل وكانت

الدائرة عليهم • هذا وبعد ان يترك السائح على يمينه قرى الشير وشيحا ومعردفتين وعلى يساره في سقي العاصي مزارع كبيرة تروى بالنواعير تدعى ازوار منها الناصرية وخطاب ومعردس وأرزة يرى امامه في وادي العاصي كازو وفي شرقيها قمحانة والظاهرية اللتان تمر منهما سكة حديد حماة — حلب وعين الباد وجبرين وهكذا الى ان يمر من جوار محطة السكة الحديدية ومقابر حماة واحيائها القريبة منها ثم يهبط وادي حماة المنخفض •

« للبحث صلة » وصفي زكريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جامع التواريخ

— او —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٩ —

حدثني محمد بن احمد بن عثمان بن الحارث الزيات قال حدثني ابي قال كان لي ولجماعة من التجار ببغداد على رجل من البزازين اربعة الف(١) دينار فقام للناس فاجتمعنا ففتحنا دكانه فوجدنا فيه متاعاً ثمنه اربعمائة دينار فقال ان اخترتم اخذها وابرائي من الباقي فخذوا فاني لاأرجع الى شيء غير ذلك وان اخترتم ان تؤخروني بالدين وافتح دكاني واعمل بهذه اربع مائة الدينار دفعت اليكم في كل سنة اربع مائة دينار فيأخذ كل واحد منكم منها العشر من ماله وتستوفون المال في عشر سنين فاجبناه الا رجلاً يعقد يقول زيدوني على العشر ولو ديناراً واحداً في السنة فقلنا للرجل أجبه الى هذا فقال ان أعطيت هذا الدينار زيادة على اربعمائة الدينار في السنة مضت اربع مائة الدينار في السنة (٢) سنين وبقيت بقية دينكم بحالها . فعجبنا من ذلك وقلنا

(١) يريد آلاف .

(٢) الصواب : في التسع سنين .

اوجدنا صحة ماقلت فقال هذه اربعمائة الدينار اذا اتجرتُ فيها سنة وسلمت قربحي اربعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وتسعة وتسعون ديناراً فأتجر فيها في الحول الثاني فيحصل معي سبعمائة وثمانية وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار يبقى ثلاثمائة وسبعة وتسعون ديناراً فيحول الحول الثالث فيصير المال سبعمائة اربع وتسعون ديناراً يخرج منهـا اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وخمسة وخمسون ديناراً(١) يحول الحول الرابع فيصير سبعمائة وستون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار ويبقى خمسمائة وثمانون ديناراً ويحول الحول الخامس سبعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة خمسة وثمانون ديناراً ويحول الحول السادس فيخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاث مائة تسعة وسبعون ديناراً ويحول الحول السابع فيصير سبعمائة واربعة وخمسين ديناراً يبقى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ديناراً ثم يحول الحول الثامن فيصير مائتين وتسعين ديناراً يخرج منها ثلاثمائة دينار بقي منهـا مائتين تسعة وستين ديناراً والدين الدين ولا يمكن ان يدفع اليكم اذا كان الأصل اربعمائة ودفع اليكم(٢) اربعمائة . فاجابته على الاقتصار على الاربعمائة وفتح دكانه وعمل ورزق .

يقول المصحح(٣) قد غلط الناسخ في ايراد حجة التاجر غلطات أفسدت معناه فيصلحه الجدول الآتي :

(١) سيأتي التصحيح بعد انقضاء الحساب . (٢) لعله : اليهم .
(٣) [المجمع] هو الاستاذ مرجليوث .

للسنة الاولى الأصل مع الربح	٨٠٠	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٩٩
للسنة الثانية الأصل مع الربح	٧٩٨	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٩٧
للسنة الثالثة	٧٩٤	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٩٣
للسنة الرابعة	٧٨٦	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٨٥
للسنة الخامسة	٧٧٠	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٦٩
للسنة السادسة	٧٣٨	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٣٣٧
للسنة السابعة	٦٧٤	
يخرج	٤٠١	
يبقى		٢٧٣
للسنة الثامنة	٥٤٦	
يخرج	٤٠١	
يبقى		١٤٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للسنة التاسعة	٢٩٠	
يخرج	٤٠١	
يبقى		١١١

***

وحدثني قال حدثني ابي فقال كل كيس يكون فيه الف درهم فتخرج منه درهمًا واحداً ولا يدخله درهم آخر فان الكيس كله يذهب ان كان بتجارة فنقصان(١) ربحها وان كان بنفقة فلبس يحتاج الى دليل · وانما يحفظ الاموال فضولها وينستر(٢) التاجر بربحه ·

***

حدثني عبيد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو عبد الله بن (٣) محمد ابن ابراهيم بن عبيد الله الفقيه الحنفي الارمني قال كان ابوزهير الجباني الفقيه ورعاً حاذقًا بمذهب ابي حنيفة فدخل بغداد فبلغه أخبار ابي الحسن الكرخي رضي الله عنه في ورعه قال فلقيه فقال له يا ابا الحسن بلغني انك تأخذ من السلطان رزقًا في الفقه قال نعم قال ومثلك في عملك ودينك يفعل هذا فقال له ابو الحسن أوليس قد اخذ الحسن البصري رضي الله عنه في زمنه وفلان فعدّد خلقًا من الصالحين والفقهاء ممن أخذ من بني أمية فقال له ابوزهير : ذهابُ هذا عليك اطرفُ: بنو أمية كانت مصائبهم في اديانهم وجباياتهم الاموال سليمة لم يظلموا في العشر ولا في الخراج وكان الفقهاء يأخذون من الأموال مع

(١) لعله : فبنقصان · (٢) لعله : يتيسر يعني يصير ميسوراً ·
(٣) لعله : زائد ·

سلامتها وهؤلاء (١) مع سلامة اديانهم اموالهم فاسدة وجباياتهم بالظلم والغش فسكت ابو الحسن فلما كان وقت قبض جائزته لم يطالب بهــا وتركها ولم يقبض شيئاً من الجاري الى ان مات · قال لي عبد (٢) الله بن داسه ان زهيراً هذا هو استاذ ابي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب اصحابنا وكان ابو محمد بن عبدل استاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل العريض وما سمعت هذه الحكاية منه ·

***

وحدثني قال لي بعض شيوخنا ان الشيخ اذا أسن صارت فيه ثلاث خصال مذمومة اذا قام عجن (٣) واذا مشا زفن (٤) واذا سعل قرن (٥) ·

***

وحدثني قال حدثني عبدالله بن معاذ قال حدثني شيخ من اهل المذار قال كان لي زرع في ضيعة وكان حسناً جيداً وافراً وكنت واسع الطمع فيه فبت ليلة فرأيت في منامي كأني بنفسين بطوفان الصحارى المزدرعة ويقول احدهما للآخر اكتب : زرع فلان كر وفلان كرين قال وانا احفظ الاسماء وبلغ الكيل الى ان جاء الى قراحي فقال اكتب وزرع فلان ثلاثة اكرار فقلت له اعزك الله زرعي والله في غاية الجودة وانا اؤمل فيه عشرة واكثر فقال لصاحبه اكتب ثلاثة اكرار قال فلما كان من الغد انتبهت متعجباً وقمت وما مضت ايام حتى لحقت الغلة آفة ونجا بعض الناس واصيب بعضهم وحصد

(١) يعني : العباسيين · (٢) لعله : عبيد · (٣) يعني نهض معتمداً على الارض كفعل العاجن · (٤) يعني رقص كأنه أعرج · (٥) لعله يريد اسقر ·

جيراني وحصدت قال فحصل لي والله ثلاثة اكرار لا تزيد قفيزاً ولا تنقص قفيزاً قال وعرفت خبر القوم الذين كنت حفظت اسماءهم ومبلغ كيلهم فاذا كيل الجميع قد خرج على ذلك المبلغ سواء ٠

بلغني من جهة وثقت بها عن معز الدولة انه قال ما نام بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقبل قط وهذا منه(١) انه رجل عجمي حسن جداً والاصل في ذلك قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بورك لأمتي في بكورها ٠

* * *

حدثنا ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال كان ابو عمر القاضي يجتاز بباب دارنا دائماً ذاهباً الى ضيعته المعروفة بالصالحية وانا صبي وبعد ذلك الى ان صرت حدثاً قال فسمعت اذ ذاك انه اجتاز فلما صار على شاطئ نهر عيسى رأى رجلاً في الماء وهو يصيح الغريق ولم يكن بين يدي ابي عمر الا غلام واحد قال فصعد ابو عمر بحماره على تلعة وصاح بأعلى صوته ياناس ياناس دفعات فلم يجبه احد لخلو الموضع وانقطاع الطريق فنزل عن حماره وقطع عمامة كانت عليه ورمى بها الى الرجل واخذ طرفها بيده ومسك بيده الأخرى شجرة كانت هناك وقال للرجل لا خوف عليك فاجذب العمامة بكل قوة قال فما زال الرجل يجذبها ويقرب الى ان قرب من الشط حتى رقا في الشط وخر مغشياً عليه وجازت جماعة فرأوا القاضي على تلك الصورة فدعوا له وشكروه

(١) لعله سقط : بحيث ٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبادروا الى الرجل وعصروا جوفه من الماء ونجا وعاش

***

حدثني عبد الله بن احمد بن بكر البصري قال كان المهريين بالبصرة له(١) نعم ومروآت وكانوا في جيراننا فحدثني شيوخنا ان فتى منهم وكان ظريفاً فركب في يوم شات شديد البرد . والماء قد جمد وليس عليه من الحشو شيء انما كان عليه قميصان وعمامة وطيلسان وخف فدخل الى قوم فعجبوا من صبره على البرد فنزع خفه فاذا هو قد طلا رجليه بالغالية وحشا منها شيئاً كثيراً بين أصابعه وفي سرته واستعمل منها شيئاً كثيراً في لحيته واخذ خرقة وطلا عليها ووضعها على رأسه ونعم عليها فحمي حمياً لم يحتج معه الى اكثر من قميصين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

***

قال وحدثني شيوخنا ان محمد بن سليمان بن علي الهاشمي كان في ضيعته التي يقال لها المحدثة خارج البصرة جالساً في مجلس على بستان وفي بعض زوايا البستان اجانة صيني كبيرة مملوءة غالية فدخل اليه قوم من العامة في حاجة لهم وكان احدهم خسيس الحال فلما رأى الغالية سرق منها شيئاً كثيراً اغترفه ملء كفه فوضعه على رأسه وأطبق عمامته عليه وأطال القوم الجلوس وهو معهم فلما قاموا قام معهم فلم يبصر فقال خذوا بيدي فقد عميت فاغتم محمد بن سليمان لذلك وجاء بطبيب في الحال وقال ما دهاك فلم يصدقه فامر

(١) لعله : المهريون بالبصرة لهم .

الطبيب بكشف رأسه فرأى الغالية فصب عليها الماء البارد حتى لم يبق لها أثر ثم طلاه بالصندل والماورد والكافور وأقامه في الهواء ساعة فصاد بصره الى حال الصحة وانصرف ·

***

وحدثني قال حدثني ابو الحسن محمد بن اسحاق بن عباد النجار وهو شيخ من وجوه التمارين بالبصرة طال عمره وحدث وكتبت عنه ولم أسمع هذه الحكاية منه قال كان في جوارنا فلان فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به وهو لايعرفه فأراد ان يفتح احد صرتين في كمه في احداهما ذهب وفي الاخرى دراهم فيعطيه درهماً فأعطاه ديناراً وانصرف الضرير وهو لا يشك ان معه درهماً فبكر به الى بقال يعامله فقال خذ هذا الدرهم واحسب مالك علي واعطني الباقي كذا وكذا فقال له البقال ياهذا من اين لك هذا قال أعطانيه البارحة فلان قال انه دينار فخذه فأخذه الضرير وجاء به من الغد الى الرجل وقال انك تصدقت عليّ بهذا وأظنك أردت ان تعطيني درهماً وغلطت وما أستحل أخذه مغالطة فخذه فقال له الرجل قد وهبته لك واذا كان في رأس كل شهر فتعال اليّ أعطيك شيئاً آخر مجازاةً لامانتك وكان يجيئه في رأس كل شهر فيعطيه خمسة دراهم · قال فلم أر أعجب من أمانة البقال والضرير والبقال (١) ولو كان في هذا الوقت لجرى ضد ذلك ·

***

(١) لعله : زائد ·

قال وقال لي ابن عباد وكان يقرأ بالسبعة فكنت أسمعه طول الليل يقرأ وكان فقيراً فاذا كان النهار خرج يتصدق(١) فاسمعه ينشد على الطريق الرقائق والزهديات لا أسمعه يتصدق بغيرهما فقلت له يوماً يا فلان انت تحفظ القرآن وأراك تتصدق بالرقائق فكيف لا تقرأ وتتصدق كما يفعل الاضراء فقال والله لأعرّض القرآن للمسألة ابداً ·

* * *

حدثني ابو محمد قال حدثني السورجي شيخ كان يجاورنا مستور قال كانت لي امرأة صالحة فكنت اذا اشتريت لحماً لتطبخه لنا طبخته وغرفته جميعه وجاءتني به وكنت أكولاً فكنت آكله جميعه وتجوع هي واولادها فقلت لها ياهذه اذا طبخت شيئاً فاقسميه قسمين وجيئيني باحدهما ودعي الآخر لنفسك واولادك فقالت لا والله لا أفعل هذا بل أقدمه اليك كله لتأكل أجوده فانك انت تُسأل عنه ·

* * *

أنشدني ابو الحسن بن ابي الليث لنفسه :

عصيت الهوى وأطعت العزولا ... وكنت كما قال فيَّ الحسودُ
وملكت رقك فهو المنى ... وبعتك للدين فيمن يزيد
لئن لم أكن أتمنى السقام ... لعلّي ألقاك فيمن يعود

(للبحث صلة)

---

(١) اي يطلب الصدقة ويستعمل في الاكثر في من يعطيها ·

آراء وافكار

—(١)—

كلمة مكان كلمة

« صَوْنة مكان شنطة (أو) — Sac-à-main »

سئلت عن كلمة عربية تقوم مقام (شنطة) وهي المحفظة الصغيرة من جلد تحملها المرأة بيدها وتضع فيها دراهمها وادوات زينتها وتسمى بالافرنسية (Sac-à-main) وفي اللغة العربية كلمات كثيرة تدل على الأوعية التي توعى فيها الاشياء • ومنها الكبير كالغرارة والجوالق والعدل والعِكم • ومنها الصغير الذي توعى فيه الثياب والامتعة اللطيفة الحجم • وهذا النوع منه ما هو خاص بامتعة المرأة وادواتها ومنه ما ليس كذلك كالكيس والجراب والحقيبة والعيبة والخريطة والصوان والتخت والجُونة والسَلة والصندوق والقمطر والكرز والخرج الى غير ذلك مما لا حاجة بنا الى شرحه وبيان ما يوضع فيه فنحن في هذه العجالة نستعرض كلمات الأوعية التي يفهم من كتب اللغة انها من أوعية النساء ثم نختار منها ما هو الأليق بالاستعمال مكان كلمة (شنطة) •

(القُفّة) أصل معناها القرعة اليابسة ثم سموا ما يتخذ من خوص النخل على شكل تلك القرعة قُفّة وتستعمله المرأة في وضع قطنها • ويريدون بقطنها القطن الذي تغزله • فليست القفة إذن مما نحن فيه ولا سيما انها شاعت في لغة تخاطبنا بمعنى المكتل والزنبيل •

(المِشيعة) بكسر الميم هو ايضاً وعاء تجعل فيه المرأة قطنها ونحوه •

(السفط) قالوا هو الذي يعبّى فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء ولكنه ايضاً ليس مما يحسن ان يوضع موضع الشنطة لأن (السفط) يستعمل كثيراً في وعاء الجواهر وغيرها فهو من أوعية الصاغة والجوهرية والتجار ولم يعد مما يختص استعماله بالنساء •

(النمط) وعاء كالسفط وزاد بعضهم قوله (تجعل المرأة فيه ذخيرتها كالعيكم) وليس هذا ايضاً مما نحن فيه لأن المراد بذخيرة المرأة مؤونة بيتها لا أدوات زينتها لأنهم جعلوه كالعيكم والعيكم العدل .

(الحفش) بكسر الحاء وعاء تجعل فيه المرأة دهنها . والمراد بالدهن هنا ما كان نحو السمن والزيت او المراد به ما كان من قبيل الطيب فيكون من أوعية النساء .

(الظبية) أنثى الغزال ثم يتخذون من جلدها المكسو بالشعر جراباً يخبأون فيه الامتعة وقد جاء في الحديث الشريف (ان النبي صلى الله عليه وسلم أهدي اليه ظبية فيها خرز فأعطى الآهل والعزب) والمراد بالآهل المتزوج . فيوشك ان تكون (الظبية) مما يستعمله النساء في وضع أشيائهن كالخرز . ومع هذا فلا يحسن ان تقوم مقام (شنطة) لأن عبارة اللغويين ليست صريحة في ان الظبية مما يستودع ادوات النساء . واذكر ان الحجاج قديماً اذا آبوا من الحج يكون معهم في جملة الهدايا أوعية صغيرة من جلد أحمر على شكل مخصوص يهدونها الى ظلال أهليهم يضعون فيها فلوسهم وكنا نسميها (ضبوة) بالضاد والواو ولعل (ضبوة) هذه محرفة عن كلمة (ظبية) المذكورة .

(المئبنة) كيس تتخذ فيه المرأة مرآتها والظاهر انه خاص بالمرآة يصونها من الصدإ والوسخ . ونحن نريد وعاء يُستودع المرآة وغيرها من ادوات زينة المرأة .

(الدُرْج) سفيط (تصغير سفط) صغير تدخر فيه المرأة طيبها ويظهر من هذا التفسير ايضاً ان الدرج خاص بالطيب .

(الطبْل) قالوا : طبل المرأة الذي فيه طيبها وحناؤها تتخذ فيه مواضع للقوارير بحواجز بينها . هذا ما قالوه في تفسير الطبل . وقولهم (بحواجز) يشعر أن هذا الوعاء كبير بحيث تكون فيه حواجز تحجز بيوته الصغيرة بعضها عن بعض . وكأنه على هيأة (الطبل) فسمي (طبلا) . وعبارة اللغويين صريحة في انه خاص الاستعمال بالنساء . ومع هذا لا أظن أن نساء اليوم يرتضين اختياره ليقوم مقام (الشنطة) أو المحافظة على أن في لفظه ابتذالاً وفي معناه اشتراكاً فانه أكثر ما يستعمل اليوم بمعنى طبل العرس او طبل الحرب .

(القشوة) قُفّة من خوص (أي جريد النخل) يجعل فيها مواضع للقوارير (اسم صغار القناني) بحواجز بينها لعطر المرأة وقطنها وأدواتها . يقال (فلانة : اذا فتحت قشوتها

فحت نشوتها) اي فاحت رائحتها الطيبة . وسميت (قشوة) من قشا العود اذا قشره وقشا العصا اذا أزال عنهــا لحاءها وفي حديث قيلة (ومعه عسيب نخلة مقشوّ) اي مقشور عنه خوصه . فقشوة المرأة تتخذ من عيدان أو جريد نخل مقشوّة اي مقشورة مخوّصة .

وقال الأزهري : القشوة هي شبه العتيدة المغشاة بجلد وقال العلامة سليمان البستاني في تعليقاته على كتابه : (تعريب الالياذة) قشوة الطيب قفة من خوص تجعل المرأة فيها أدواتها وتحملها معها ، فقوله (وتحملها معها) زائد على ما قاله علماء اللغة . فلعله رأى هذه الزيادة في بعض ما لم نطلع عليه من كتب اللغة او الأدب . وقوله (تحملها معها) أي في السفر أو تحملها بيدها اذاخرجت من دارها الى زيارة صويحباتها كما يفعل نساء زماننــا . وهذا مما يجعلنا نفضّل استعمال كلمة (قشوة) على غيرها من الكلمات لتقوم مقام (شنطة) أو Sac-à-main وزدعلى ذلك ان اللغويين قالوا أن القشوة شبه العتيدة المغشاة بجلد فتغشيتها بالجلد يجعل شبهاً بينها وبين محافظ النساء في هذا الزمان لان المحافظ من جلد عادة . ولكن لفظ (قشوة) ليس مما يستحب لديهن في ما أظن على ان (القشوة) في لغة الدماشقة يريدون بها علبة لطيفة تعي فيها لوازم النفساء ولوازم طفلها كالبودرة والقطن والكحل الخ . لذلك نضرب عن (القشوة) صفحاً ونعدل الى أختها وهي كلمة (العتيدة) .

(العتيدة) طبل العرائس أعتدت اي هيأت لوضع ما تحتاج اليه العروس من طيب وأداة وبخور ومشط وغيره وقد مر الكلام على كلمة (الطبل) وانه الوعاء الذي تجعل المرأة فيه أدواتها وفي حديث ام سليم (ففتحت عتيدتها) وقد فسر ابن الأثير في نهايته كلمة (العتيدة) بقوله هي كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة مايعز عليها من متاعها اه .

فالعتيدة نراها أفعد تلك الكلمات واجمعها لشروط الحسن واجدرها بالاستعمال . واذا لم تعجبهن (العتيدة) ولا اخواتها (القشوة) و(الطبل) و(الظبية) و(المثبنة) و (الدرج) فلدينا كلمة اخرى هي آخر سهم في الكنانة وهي كلمة :

(الصَّوْنة) يقولون وضعت العروس طيبها في (الصونة) . فلتصح عزيمتنا على اختيار هــذه الكلمة واستعمالها مكان (الشنطة) ولا سيما ان لفظ (الصونة) يذكّر بالصيانة حتى اذا حملتهــا احداهن في يدها وخرجت من دارها كانت نعم الصاحب لها تذكرها بالصون وتنبهها الى ما يحسن بها خارج بيتها من الأدب والحشمة عدا ما في (الصونة) من رشاقة

اللفظ وسهولته وكم من الفرق بينه وبين الشنطة . وبين (ساك آمين) الافرنسية التي نخشى ان تشيع بيننا وتغلب على السنتهن .

المغربي

مطبوعات حديثة

تهذيب تاريخ بن عساكر

« للشيخ عبد القادر بدران الدومي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ وقف على طبعه السيد »
« احمد عبيد . الجزء السابع ص ٤٨٠ طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٥١ »

صدر هذا الجزء من هذا التاريخ المفيد وفيه صور من التراجم المطولة والمختصرة . والمؤرخ يتوخى كما يتوخى ابن الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ان يترجم للمحدثين أو لمن نقلوا الحديث من الصحابة فمن بعدهم الى عصره وان كان لا يغفل الأدب والشعر والاخبار اذا كانت مما يغلب على مترجميه وممن ترجم لهم تراجم مطولة يستفاد من لغتها وأفكارها وأخبارها . وفيه من التراجم ترجمة الأحنف بن قيس . طارق بن زياد . طرماح بن حكيم . طلحة الخير . ابو الأسود الدؤلي . عامر الشعبي . ابو عبيدة بن الجراح . ابو الهيذام المري . العباس عم الرسول (ص) . ابو مسلم الخولاني . عبد الله بن رواحة . عبد الله بن الزبير . الى عشرات غيرهم ممن أطال المؤلف في الترجمة لهم أو اختصر . وكلهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من رجال الاسلام ممن استوطنوا دمشق أو دخلوها سائحين .

ويتألف من أحاديثهم وأخبارهم وأشعارهم وخطبهم وحكمهم وسمرهم وسيرهم كتاب في الأدب نفيس ، يعلم الفصاحة ويجيء فصحاً وشوارد جميلة في المنظوم والمنثور . وفي هذا الجزء أمور كثيرة ليس لها وجود في المتداول من كتب التراجم والسير والحوادث والآداب لاجرم انه سيتألف من مختصر ابن عساكر مجموع في هذا المعنى يغني عن المطولات المتنوعة ، مما لا يتسع حال الزمان لاقتناء الناس له ، ولا لمطالعته مطالعة تدبر وتبصر . وباحياء

مثل هذه الأسفار في الحقيقة إحياء لجوانب كثيرة كانت غير متجلية تجلياً حقيقياً من مدنيتنا وتاريخنا • فالشكر للاستاذ ابن عبيد المثنى بمراجعة اصول هذا الكتاب الذي ابتلي كبعض مخطوطاتنا بجهل النساخ حتى حرفوه ومسخوا محاسنه • ومن قابل الابيات (ص٤٤٩—٤٥٧) الواردة في المتن بما صححها به مصححها الفاضل يتجلى له مقدار العناء الذي لاقاه في اثبات الصحيح من الألفاظ حتى تنفهم المعاني ، واذا وقعت له مظان أخرى فتوقف فيها ، فعذره انه لم يقع على غير نسخة واحدة محرفة • ولعل الايام لاتضن على هذا السفر المحترم بايجاد نسخه المبعثرة في البلدان لتصحيح ماسقم منه بطول الايام وجهل الايدي التي تعاورته •

م • ك

رسول الوحدة

«أو الوحدات الخمس»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقوم إخواننا مسلمو الهند في هذه الايام بنهضة دينية ثابتة القدم • متسعة النطاق • وقد جعلوا للغة العربية نصيباً مفروضاً من نهضتهم هذه كما اشرنا الى ذلك في مكان آخر من مجلد هذه السنة • ومن مساعيهم الحسنة انهم سموا يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم — (يوم النبي) ولم يقتصروا فيه على قراءة قصة المولد المشهورة التي اصبحت على تمادي الأيام ضعيفة التأثير في نفوس المسلمين بل أخذوا على أنفسهم استكتاب الفضلاء محاضرات في حياة النبي (ص) وسيرته وحقائق شريعته ثم يترجمون تلك المحاضرات الى اللغات المختلفة وينشرونها في العالم • قالوا :

ولقد كان من نتيجة المساعي التي بذلت في السنوات الثلاث الماضية أن أُقيم في مئات من المدن مراكز لإشاعة (الحياة النبوية) وقد ترجمت الحياة الى (١٧) لغة وأُقيم في مختلف جهات العالم خمسون الف احتفال ووزع مايزيد على سبعمائة الف كتاب في (الحياة النبوية) بين المسلمين وغير المسلمين مجاناً • وقد أرسل الاعلان الأساسي لهذه الفكرة — الى ٢٨٥ صحيفة لنشره حيث يعم من (كاليفورنيا) الى سواحل الصين اه •

ومن هذه المحاضرات التي أُلقيت في (يوم النبي) محاضرة بليغة بعنوان (رسول الوحدة) القاها زعيم الاصلاحيين في بلاد الهند مولانا الاستاذ (سليمان الندوي) ولعله القاها باللغة

الاوردية فترجها مولانا (احسان سامي حقي) الى اللغة العربية وقد أرسلت الى مجمعنا نسخة من هذه المحاضرة فاذا هي تتضمن ستة أبحاث في الوحدات الخمس (١) وحدة الالوهة (٢) وحدة الرسالة (٣) وحدة الكتاب السماوي (٤) وحدة الانسانية (٥) وحدة الدنيا والدين. فكان المحاضر يشرح كيف أنه صلى الله عليه وسلم علّم بهذه (الوحدات) ثم يقارن بين تعاليمه فيها وبين تعاليم الاديان الأُخرى ويبين أفضلية التعليم المحمدي وفائدته للبشر وإصلاح حالهم. وفي المحاضرة فوائد تشرح لنا عقائد أديان الهند وتعاليم أنبيائهم. ويظهر من كلام مولانا سليمان الندوي أنه يعتبر سقراط وزرادشت وبودا وكونفوشيوس وامثالهم من الانبياء الصادقين الذين لم تذكر اسماؤهم في القرآن. وذكر أن فرقةً من فرق الهندوس الوثنيين تعتقد بثلاثمائة وثلاثين مليون من الآلهة وهذا أكبر عدد في تعدد الآلهة كما ان عقيدة (ماني) القائلة بالإلهين أقل عدد. وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم فعلّم بالتوحيد المحض وقد أدرك المعددون خطأهم فأخذوا في إصلاحه: فقد قام في القرن الرابع عشر للميلاد المصلح (رامانندسنيامي) فدعا الى توحيد الإله وذهب الى ان مذاهب العالم كلها مستمدة من نبع واحد. وقام بعده في القرن الخامس عشر المصلح (كبير) فقضى على عبادة الأوثان وحاول ان يدمج الوثنيين بالمسلمين الموحدين. قال (وهكذا يظهر ان مذهب السيخ كان وُضع اساسه في ابتداء أمره بناءً على هذه النظرية) يعني نظرية التوحيد. أما المصلح (كبير) هذا فهو رجل حائك ألّف فرقة موحدة وقد انقرضت فرقته. ولا يزال بعض كتبه التي ألّفها متداولاً في أيدي الناس وأكثرها شعر. وأما مذهب (السيخ) فصاحبه (باباناتك) البنجابي ومذهبه كان أقرب الى الاسلام منه الى الهندوسية غير ان اتباعه عادوا فابتعدوا عن الاسلام واقتربوا من الهندوسية ولهم كتاب مقدس وعددهم نحو ثلاثة ملايين ونصف ومسكنهم البنجاب. وكلمة (سيخ) تكتب في اللغة الهندية هكذا (سيكه) وتلفظ بكسر السين والياء وإسكان الكاف والهاء المدغمتين. وذكر المحاضر الفاضل ان الاسلام علّم بوحدة الانسانية بينما الوثنية تفرق هذه الوحدة فتجعل الانسان طبقات مختلفة طبقة خُلقت من (فم الإله) وأُخرى من (يديه) وثالثة من (رجليه) وهلم جرا. وذكر المحاضر في بحث وحدة الرسالة ان الاسلام علّم بوجوب الايمان بالرسل وأبطل ما كان عليه اليهود من تكذيبهم لعيسى وما كانت عليه قريش إذ (كانت تكره

حتى استماع اسمه) اي اسم عيسى ؟ ؟ الى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها تلك المحاضرة النفيسة فالشكر لصاحبها ·

المغربي

ثلاث رسائل

« في علم مصطلح الحديث »

علم مصطلح الحديث اوعلم اصول الحديث من العلوم الجليلة التي يتوقف عليها الاجتهاد او التشريع في الاسلام ومن ثم تعددت التآليف في هذا الفن وطبع منها الشيء الكثير وبقي الشيء الأكثر مدفونًا في مطامير الخفاء تنتظر ارباب الجد والحرص على نشر العلم فينشرونها من مدافنها ويثيرونها من مكامنها ·من ارباب الجد هؤلاء الأستاذ الشيخ راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي في حلب فانه لايألو جهداً في التنقيب عن نفائس الكتب وطبعها ونشرها ·من ذلك ثلاث رسائل في علم المصطلح عثر عليها في بعض المجاميع المخطوطة المحفوظة في مكتبة التكية الاخلاصية وبعد ان عارضها بثلاث رسائل من جنسها محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق طبعها في كتاب واحد تبلغ صفحاته نحو ثمانين صفحة حسنة الطبع والضبط والتصحيح والتعليق ·

وأولى تلك الرسائل (تذكرة الطالب المعلم · بمن يقال انه مخضرم) وهؤلاء المخضرمون من رواة الحديث يبلغ عددهم اثنين واربعين رجلاً والخضرمة في مصطلح الحديث ان يتردد الراوي بين طبقتين من طبقات الرواة بحيث لايدري من ايتهما هو :

والرسالة الثانية (التبيين لأسماء المدلسين) والراوي المدلس هو الذي يروي الحديث ولا يسمي من حدثه به أو يوهم أنه سمعه من محدث ولا يكون ذلك المحدث حدثه به في الواقع ونفس الأمر · والتدليس انواع مبسوطة ومبينة في هذه الرسالة وسواها ·

والرسالة الثالثة (الاغتباط بمن رمي بالاختلاط) هذه الرسالة تكشف لنا عن اسماء رواة الحديث وطائفة الذين اصيبوا في آخر عمرهم بالخرف أوالعته فتقع الشبهة في الأحاديث التي رووها : هل رووها في حالة سلامتهم اوفي حال عتههم · والرسائل الثلاث تأليف الحافظ

برهان الدين ابي اسحق ابراهيم بن محمد بن خليل السبط بن العجمي المحدث بالمدرسة الأشرفية بحلب المتوفى سنة ٨٤١ هـ .

المغربي

المسك الأزفر

« تأليف السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي رحمه الله »

سوق العلم لا تزال كاسدة في بلادنا على الرغم من النهضة المباركة التي نراها اليوم في الشبيبة السورية لان الأكثرين انما يطلبون العلوم الفنية كالطب والصيدلة والحقوق من أجل تأمين مستقبلهم وكسب رزقهم من هذه الأبواب . ومن حصل لغةً قبل ذلك فلنيل الشهادة المدرسية التي تمكنه من دخول مدارس العلوم الفنية .

قليلٌ اليوم من يهتم بالعلم من اجل العلم . واقل منهم من يُعنى بتدوين تراجم العلماء المحدثين مع أن تراجم العلماء الاقدمين كُتُبها اكثر من ان تُعدّ . ذلك لان جامع مثل هذه الكتب لا يبيع منها بما يستعيض به نفقة الطبع فضلاً عن الربح . وهذا من جملة براهين كساد العلم الذي لا يدرّ لصاحبه كسباً مادياً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سدّ السيد نعمان الاعظمي ببغداد قطعةً ولو صغيرة من الثلمة الكبيرة ، بطبعه على نفقته كتاب « المسك الأزفر » للمرحوم السيد محمود شكري الآلوسي المتضمن تراجم علماء بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وقد أهدي الى مكتبة المجمع العلمي الجزء الاول منه وهو مصدّرٌ بتراجم العلماء من البيت الآلوسي وهو بيتٌ اشتهر بالفضل والصلاح ، ومن هؤلاء بعضهم رقدوا في رحمة ربهم وبعضهم احياء يرزقون ، ولا غرابة في هذا التصدير فالمؤلف من هذا البيت . تلا ذلك تراجم عدد ممن اشتهروا بالعلم في بغداد ، ويتخلل كلّ ترجمة شيءٌ من شعر المترجم .

عبد الله رعد
عضو المجمع العلمي

نصوص قبري توتموزيس الثالث وامنوفيس الثاني

« للمسيو بوشير — الجزء الاول عدد صفحاته ٢٢٢ مع ٤٢ لوحة رسوم »

« طبع القاهرة سنة ١٩٣٢ »

Paul Bucher - Les textes des tombes de Thoutmosis III et d' Aménophis II. Tome premier, 222 pages et 42 planches. Le Caire 1932.

نشرت هذه الوثائق في الجزء الستين من مجلة المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة وفي الجزء الاول بمجوعة الهروغليفية المدونة على جدران قبري الفرعون توتموزيس الثالث والفرعون امنوفيس الثاني اللذين اكتشفها المسيو لوري (Loret) وقد شفع هذه النصوص برسوم واضحة يمكن منها التثبت من صحة حل رموزها ، وموضوع هذه الوثائق ديني يتعلق بطقوس الموتى .

جعفر الحسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلمة الاخيرة

في الكلمات غير القاموسية

— او فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصنافها السبعة —

« تمهيد الطريق أمام المعجم العتيد »

— ٢ —

« الصنف الخامس »

المعرب أو الكلمات المولدة بالتعريب وهي التي يكون أصلها أعجمياً فيستعمله العرب بعد تغييره تغييراً قليلاً أو كثيراً ويندر ان يبقوه على حالته • ومنه الخفيف على اللسان نحو كلمة (فلم) شريط السينما • ومنه الثقيل نحو كلمة (اوتوموبيل) و (برصوناليته) •

فهل هذه الكلمات المعربة مما يجوز قبوله واستعماله وتدوينه او لا ؟

فاجاب الاساتذة :

(١) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (نأخذ منه ما تقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتحويره إن كان فيه تنافر او ثقل او خشونة) •

(٢) — الغلاييني « مجلد ٨ ص٣٥٩ » (أرى استعمال المعرّب : كالمناورة ٠٠٠٠٠ واللفظ الاعجمي إن امكننا ايجاد لفظ عربي له فذاك والا عربناه) •

(٣) — تقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » (ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ماينوب منابها) ثم اشار باستعمال الكلمات الاعجمية الخفيفة نحو (بالون) وترجمة ما كان ثقيلاً نحو (برصوناليته) فنقول مكانها (ذاتية) ثم قال (وكما اطلب أن تدخل في اللغة ألفاظ ليست منها فاني اطلب ان تحذف الفاظ وضعت لعهد مضى الخ) •

(٤) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » القول الفصل عنده في هذا الصنف أن الكلمات الألف التي عربتها الجاهلية واهل القرون الاسلامية الثلاثة تُعد عربية · وان ما سواها من الكلمات التي عربها غير هؤلاء الى زمننا الحاضر فهو عامي · واستعماله لحن · وقبوله خرق للقواعد ·

(٥) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (الالفاظ المعربة في الازمنة الكريمة يجب ان تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة) وقوله (الازمنة الكريمة) يشعر بانه يشترط في قبول (المعرب) ما اشترطه الاستاذ الاسكندري اعني ان يكون مما عرب في العصر الجاهلي او العصور الاسلامية الاولى ·

(٦) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (يجب على المجمع العلمي ان يضع الفاظاً عربية للمعاني الحديثة ··· ولا نعده مضطراً الى اباحة استعمال الكلمات الاعجمية الا اذا لم يجد في نفس اللغة العربية ما يغني غناءها) ·

(٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (نقبل كل دخيل (يعني به المعرب) بعد تخفيف الثقيل منه بصقله وارجاعه الى الاوزان العربية وتبديل بعض حروفه كما تقتضيه قواعد التعريب : فنقبل اليوم الاكسجين والتلسكوب والسينما والبترول كما قبل اجدادنا قبل اليوم الاسطقس والهيولى والاسفنج والاسطرلاب) ·

(٨) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » (التعريب مفتوح الباب في اللغة ·· والكلمة الاعجمية ان كانت خفيفة استعملت على حالتها كما استعمل العرب (لجام) الاعجمية وان كانت ثقيلة هذبت وأرجعت الى اوزان العرب) ·

(٩) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص١٧٦ » (هناك الفاظ كثيرة اعجمية لا يأباها قانون الوضع عندنا لخفة لفظها) ثم اشار على المجمع باعلان امثال هذه الالفاظ كي تستعمل وتشيع وتنضم في سلك اللفظ العربي وتغتني بها اللغة العربية وهذا اذا لم يمكن وضع لفظ عربي يقوم مقامها كما وضعوا السيارة للاتومبيل والمنطاد للبالون ·

(١٠) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (اقول بجواز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل (فلم) و (بالون) ان اقتضت الضرورة وتعذر وضع ما يؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية) ·

(١١) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » أشار اولا بلزوم وضع كلمات عربية في مقابل الكلمات الاعجمية بحيث تشترك معهـا ولو ببعض الوجوه ثم قال : (واذا لم نجد مايناسب اللفظ الاعجمي وكان هذا الاعجمي خفيفاً وصيغته تناسب الصيغة العربية فلا بأس بابقائه على اصله) .

(١٢) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » خلاصة جوابه ان الكلمات الاعجمية اذا كانت ثقيلة وجب ان تفرغ في الاوزان العربية حتى تخف على اللسان اما اذا كانت خفيفة مثل (فلم) (بالون) (مناورة) وجب قبولها ولو كان في لساننا ما يقوم مقامها ثم ضرب لذلك مثلاً اجدادنا العرب فانهم كانوا يستعملون الكلمة الاعجمية مع وجود عربية تقوم مقامها ولا سيما اذا كانت العربيـة ثقيلة فالفيل كان العرب يسمونه (العيثوم) (الكلثوم) (الدغفل) (العقرطل) (ابو مزاحم) الخ لكنهم لما سمعوا الفُرس يقولون « الفيل » تركوا كلماتهم واكتفوا بكلمة (الفيل) (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) .

(١٣) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » اجاب بما حاصله : ان الكلمة الاعجمية اذا كان مسماها امراً معنوياً مثل (Idéal) وجبت ترجمتها الى العربية وان كان مسماها أمراً مادياً مثل كلمة (فونوغراف) وتعذرت ترجمتها الى العربية قبلت بعد صقلها وتهذيب خشونتها . ويستفاد من كلامه انه يعتبر ما تفعله العامة في صقل الكلمات الاعجمية وتهذيبها وقد قال في هذا الصدد (هؤلاء عامتنا استثقلوا كلمة (سينماتوغراف) فسموها (سينما) وكذلك يفعلون في كثير من الكلمات) .

(١٤) — النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » (اللغة مجموع الفاظ يعبر بهـا عن المعاني فهل يعقل ان نقف عاجزين أمام بعض المستحدثات الجديدة والمعـاني العصرية : لا نعرف لها اسماً . ولا نوجد لها لفظاً . ونمنع الناس ان يستعملوا اللفظ الاجنبي لها ؟ !) كلا لا يعقل بل يجب ان نقبل المعرب . ثم يفهم من فحوى بقية كلامه انه يشترط لقبول الكلمة المعربة ان لا يوجد في اللغة العربية ما ينوب منابها .

(١٥) — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » قال ما ملخصه : ان كان للفظ الاعجمي مرادف في لغتنا العربية استعملنـا المرادف والا استعملنا اللفظ الاعجمي بصيغته الاعجمية

ان كان خفيفاً نحو (كيلو · سنتيم · فرنك) وان كان ثقيلاً حولناه الى صيغة عربية فنقول (طن) في (طونولاته) و (تنبيل) في (اوتوموبيل) هذا اذا لم نترجم (طن) بقنطار و (اتوموبيل) بسيارة ·

(١٦) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » اطال في الجواب عن الكلمات المعربة بما يدل على قبوله بل تعصبه لها ودفاعه عنها كلها حتى الثقيل منها الذي عربه المعاصرون ومما قاله في هذا الصدد (فاسماء المخترعات الحديثة مثل التلغراف والتلفون والاوتوموبيل ليس قلبها الى اسماء أُخرى قائلين (برق · هاتف · سيارة) إلاّ من التعصب البارد بل يكون من قبيل اغتصاب ما ليس لنا ··· على ان دخول تلك الاسماء في لغتنا لا يمس كيانها ولا شرفها مها كثرت بل تزداد لغتنا رونقاً بموافقتها للغات اصحاب تلك المخترعات الخ) ·

(١٧) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » اطنب في اظهار حرصه على سلامة اللغة العربية وذهب الى ان قبول الكلمات الاعجمية يفسد اللغة تدريجاً فهو يرى وجوب الاستغناء عنها مطلقاً خفيفة او ثقيلة ما دام في لغتنا متسع فاذا لم نجد متسعاً واحتجنا الى لفظ اعجمي (فلا بأس ان ننقله والاحسن ان لا ننقله الا معرباً اي مهذباً حسب الاوزان العربية) فيفهم من هذا تجويزه للمعرب بشرط حاجتنا اليه وبشرط طبعه بالطابع العربي ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٨) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (ترد كل كلمة أعجمية لم يستعملها العرب · وليس لنا ان نقيس أنفسنا على اجدادنا الذين عربوا كلمات اعجمية : فالجاهلية لم يعربوا عن قصد ··· والاسلاميون ما لبثوا (بعد ما عربوا كلمات اعجمية) ان استبدلوا بها أُخرى عربية محضة) ثم وصف الطريقة التي يجب ان نسلكها في تدوين الاصطلاحات العربية القديمة لنستغني بها عن الاصطلاحات الاعجمية الحديثة وان الواجب علينا اليوم ان نترجم الى لغتنا ما استجد من الاصطلاحات ثم قال : (واذا عجزنا عن ترجمتها فاني اذهب الى أبعد من ذلك فاخترع كلمة مهملة من احرف عربية ثلاثية او رباعية او خماسية او سداسية موافقة للأوزان العربية وأضعها لذلك المعنى وانشرها ولا استعمل كلمة اجنبية مهما كانت قيمتها اه) ·

انتهت الاجوبة عن صنف الكلمات المعربة · وهذا الصنف هو بيت القصيد من الاقتراح · وقد كانت أكثرية الآراء في جانب قبول تلك الكلمات ·

ومن مواضع العجب في اجوبة الاساتذة أن احدهم وهو (العلامة الجابري) أفرط في التفاؤل بالكلمات الاعجمية : فهو يستحسن بل يرى من الحق ان نستعمل كلمة (تلغراف لا برق) (وتلفون لا هاتف) (واوتوموبيل لا سيارة) بينما (الاستاذ بقدونس) يفرط كل الافراط بالتشاؤم بالكلمات الاعجمية حتى ما كان خفيفاً منها فكلمة (فلم) مثلاً يخترع كلمة جديدة ولو بان يقلب كلمة (فلم) فيقول (ملف) وهو لفظ مهمل في اللغة العربية إتدل على شريط السينما ولا يقول (فلم) . وبين الاستاذين ستة عشر استاذاً توسطوا فاجازوا المعرب بالشروط المعتبرة عند معظم علماء اللغة المتقدمين .

* * *

« الصنف السادس »

أساليب او تراكيب ذات معان اعجمية الاصل وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الاجنبية ولا عهد للعرب الاقدمين بها وهذا كقولهم (ذر الرماد في العيون) (عاش ستة عشر ربيعاً) (وضع المسألة على بساط البحث) (ساد الامن في البلاد) في نظير ذلك . فهل امثال هذه التراكيب يقبل في لغتنا ويستعمل ويدوّن او لا ؟

http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاجاب الاساتذة :

(١) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » (أوافق كل الموافقة على ادخال هذا الصنف في لغتنا) .

(٢) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (هذا الصنف يقبل) .

(٣) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » (لاغبار على تلك الاساليب ولا بأس في استعمالها)

(٤) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي ادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية موقوفة هي ايضاً على السماع ؟)

(٥) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (لا احسب في هذا الصنف ما يدفع الى الاستغناء عنه والا اغلقنا باب المجاز والتشبيه وهما من محاسن اللغة) .

(٦) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (ما لا يضر بأساليب العربية من الاساليب

والتراكيب الاعجمية جاز استعماله) .

(٧) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (لا مجال للتردد في جواز استعمال هـذه التراكيب والأساليب الأعجمية اذا كانت جارية مجرى التراكيب والاساليب العربية) .

(٨) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » لم يُجِب على هذا الصنف بخصوصه لكن يعلم قبوله له من جوابه على الكلمات (الاصطلاحية والمولدة والمعربة) فانه أجازها كلها . وهو بالطبع يجيز الاساليب الافرنجية ومثله في ذوقه الانشائي لابد ان يشترط موافقة تلك الاساليب للأذواق السليمة ولقواعد اللغة القويمة كما اشترط غيره .

(٩) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » لم يتعرض الأستاذ لهذا الصنف ايضاً ولعله رآه واضحاً لا يحتاج الى جواب ولا سيما ان الأستاذ أجاز تعريب الكلمات الاعجمية وفتح لها الباب على مصراعيه فكيف لا يسمح للاساليب الافرنجية بالدخول . وهي أحق منهـا بالترحيب والقبول ؟

(١٠) — التكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » (ليس في العرب من ينكر تعبيراً او تركيباً لا يخالف المناحي العربيـة ولا لامتنع المجاز والكناية والاستعارة) فالأستاذ التكدي يشترط ما اشترط المجيبون الاولون من وجوب موافقـة الاساليب الافرنجية للاساليب العربية . وزاد تلك الموافقة ايضاحاً وبياناً المجيبون التالون :

(١١) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » قال ما مخفوله : ارحب بالاساليب التي تضمنت « خواطر افرنجية » كالأمثلة المذكورة بشرط ان يكون تركيبها عربياً لا خلل فيه . والا بان تقدم فيه المضاف اليه على المضاف مثلاً كما في اللغتين الفارسية والانكليزية فهذا اكرهه ولا أوافق عليه .

(١٢) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » لم يُجِب الأستاذ النشاشيبي على هذا الصنف بخصوصه وانما قال (فرض علينا اليوم نبذ كل تركيب غير عربي يلتبس فيه معنى الكاتب ولكل لسان أسلوب ، والتسامح في هذا الشأن هو الهلاك) فهو قد اشترط في قبول الاسلوب الافرنجي ما اشترطه الاستاذ الكرملي من كونه مطابقاً في التركيب للقواعد العربية كي يسلم المعنى من اللبس .

(١٣) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » وجواب هذا الاستاذ ايضاً يتلخص الاشتراط فيه بما قلناه في جواب الأستاذين السابقين الكرملي والنشاشيبي .

(١٤) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » لا غبار على أساليب هذا الصنف ما لم تكن عامية مبتذلة . وهذا الابتذال الذي اشار اليه الاستاذ المجيب أوضحه المجيبون التالون بالأمثلة والشواهد :

(١٥) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (لا نعلم وجهاً للنفور من استعمال هـذا الصنف ما دام التراكيب موافقاً للنُظُم المألوفة في علم النحو ... الا ان يكون شيئاً تنبو عنه الاذواق السليمة) وماتنبو عنه الاذواق السليمة هو العامي المبتذل الذي حذر منه الاستاذ حمصي .

(١٦) — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » هذه التراكيب والاساليب وما ماثلها لا ارتاب في جواز استعمالها ... لان المركبات الاسنادية لا يتوقف استعمالها على النقل عن العرب كالمفردات ... على شرط ان تكون مما افاضته قريحة سليمة لاسقيمة يقول صاحبها (هذه عصارة عقلي) وربما قال (عصارة دماغي) اهـ .

(١٧) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (اذا كان لهـذه الاساليب المترجمة مايقابلها في اللغة العربية الفصحى فالاولى استعمالها وان لم يكن في لغتنا مايقابلهـا وكانت قريبة من اذواقنا قبلناها ايضاً) ثم مثّل الاستاذ للاساليب الافرنجية التي لاتلائم اذواقنـا بقول (فكتور هيكو) : (اجراس كثيرة تقرع كلها كأنها أتون من الموسيقى) ويقول الآخر (جليد المرآة) يريد زجاجهـا ويقول (وشنطن ايرفن) في مطالع يقرأ الكتب ويثني اطراف اوراقها ليرجع اليها عند اللزوم قال : (إن كتبه كلها آذان كلاب) ويقول الانكليز في وصف الرجل الذي يعكف على مطالعة الكتب « هو دودة كتب » وبقولهم في وصف أزرار الازهار في براعمها « نامت في سريرها الشتائي » فالاستاذ المعلوف يرى عدم قبول هذه الاساليب المترجمة لانها بعيدة عن الاذواق العربية .

(١٨) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » (هذا الصنف مرجعه الى المجاز وباب المجاز لاحرج علينا في التوسع فيه بعـد المحافظة على وضوحه وملابسته لمعيشة الناطقين به وعاداتهم واذواقهم) ثم قال : ان من المجازات الافرنجية ما لا تنكره اذواقنا فالواجب

قبوله ومنها ما تتنكره اذواقنا فالواجب رفضه . ثم مثل للواجب الرفض بقولهم :

(طلب فلان يد فلان) ونحن نقول (خطبها) وقولهم (قذف آخر خرطوشة لديه) ونحن نقول (رمى آخر سهم في كنانتــه) وقولهم (ضحك ضحكة صفراء) ونحن نقول (تكلف الضحك) اه .

فالاساتذة « الخضر والغزي والمعلوف ومرقص » جعلوا الاساس في قبول هـذا الصنف ان يكون ملائماً لاذواقنا العربيـة وكل منهم مثل لغير الملائم بأمثلة ان لم تلائم ذوقه هو ربما لاءمت ذوق غيره . على ان تحكيم الذوق الخاص وتمييز الملائم من غير الملائم — امر من الصعوبة بمكان : وذلك لاختلاف الاذواق والمشارب ولتباين استعداد الناس في « الحس اللغوي » وهذا هو في الحقيقة مبعث تشتتنا وتفرّقنا ووهن عزائمنا دون الاصلاح الواجب للغتنا . وأرى ان التحدي بالاساتذة فاذكر بعض ما لا يلائم ذوقي من الاساليب الاعجمية المترجمة :

« تعذيب الضمير . ومعذب الضمير . وضميري يعذبني » « بكى بكاء مراً » (هناك البكا وصرير الاسنان) (واقول انا في دوري) (المسألة الفلانية قيد البحث) (اعتنق فلان الدين الفلاني) (مبارك هو الرب) (يحرق البخور امام فلان) (فلان ضحى فلاناً على مذبح اغراضه) (يشتغل في حقل الوطنية) (صب عليـه جام غضبه) . وفي آخر كتاب تلقيته من الامير شكيب يقول :

قولهم « العمل الذي عمله فلان ضد فلان» او « لم يزل يحرك ضده » او « كان دائماً يشتغل ضده » لم اجد هذا التركيب في الكتب القديمة افلا يكون ركيكاً ؟

انتهت الاجوبة على الصنف السادس وهي متفقة على قبوله بل ذهب بعض الاساتذة الى ان قبوله يكاد يكون مدركاً بالبداهة وما كان ينبغي ذكره بين الاصناف المبحوث عنها . غير ان بعضهم لاحظ مالاحظناه من وجوب الاحتياط والتحفظ في قبول الاساليب المترجمة فاشترط ان لا يكون في لغتنا الفصحى ما يقابلها وان لاتكون مخالفة في تركيبها لقواعدنا وان لا تكون نابية عن اذواقنا .

والحاصل ان هذا الصنف مقبول . مع شيء من التحفظ المعقول .

* * *

« الصنف السابع »

العامي : وهو الكلمات التي تدور على افواه العامة ولا يستعملها الفصحاء بل يتحاشون النطق بهـا : مثل (بَدّي اذهب) (جيب الكتاب) (تعربش على الشجرة) (تحركش بفلان) .

فهل يجوز استعمال كلمات هذا الصنف وتدوينها في المعجم او لا ؟
فأجاب الاساتذة :

(١) — قسطاكي حمصي — حلب « مجلد ٩ ص ١٧٦ » (هـذا الصنف مرذول مردود) .

(٢) — احمد رضا — جبل عامل « مجلد ٩ ص ٥٨ » هذا الصنف لا يصح استعماله وهو هتك لحرمة اللغة) .

(٣) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » (لا اظن اديباً عربياً يخالف في خطر استعمال الكلمات العامية) .

(٤) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٣٨٥ » (الالفاظ المولدة في العصور السخيفة والالفاظ العامية نبذها فرض) .

(٥) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (لا ارى احداً يغـار على لغته يقول بجواز استعمال هذا الصنف) .

(٦) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (الكلمات العـامية من امراض اللغة التي يجب ان نحمي السنتنا واقلامنا من ان تحوم حولها) .

(٧) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » (الكلمات المولدة التي لا يستعملها احد من الفصحاء لا يجوز استعمالها) .

(٨) — التكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » أجاب بما يفيد شدة احتقاره للعـامي وانه ما كان ينبغي ذكره في الاقتراح وانما ندعه لاولئك الذين يريدون إماتة لغتهم باحيـاء عاميها .

(٩) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » لم يطلق القول في رفض العامي اطلاقاً كما فعل

من اجاب قبله وانما هو قسم الكلمات العامية الى مايصح الانتفاع به في الاستعمال مثل كلمتي (جزمة) و(عربة) والى مالا يصح مثل « ماطيش » وقال ان هذا القسم الاخير يرفض رفضاً باتاً وقد حذا حذوه في هذا التقسيم الاساتذة التالون :

(١٠) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » (واما الألفاظ العامية فالمحرف والمصحف منها والمشتق على غير قاعدة الاشتقاق العربي — لاينبغي أن يرتضى) ٠

(١١) — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » قال ماحاصله (اللفظ العامي المجهول الاصل او الذي اصله اعجمي : ان كان له مرادف في اللغة أهمل والا استعمل ٠ واما اللفظ العامي المحرف عن اصل عربي فانه يهمل ويستبدل به اصله العربي) ٠

(١٢) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » العامي الفصيح من اصله ووضعه يبقى على حالته ٠ وغيره يرد الى اصله اويوضع له ماينا سبه) عبارته هذه تزداد وضوحاً وتفسيراً بعبارته الاخرى الواردة في مقدمة الجواب وهي (اعتنيت بجمع اللغة العامية ٠٠٠ ورددت ماامكن رده الى اصله ووضعت لما ليس له كلة عامية فصيحة مايقابله من الفصحى اه) فرأيه اذن في الكلمة العامية ان تصحح ويقوّم اعوجاجها ٠ وان تعذر ذلك استبدل بها كلمة فصيحة ٠

(١٣) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (هذا الصنف ممنوع البتة الا اذ كان له اصل فصيح يمكن ارجاعه اليه) ٠

(١٤) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » لم يصرح برأيه بخصوص هذا الصنف وانما قال (ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لابأس بها اذا لم نجد ماينوب منابها) وقوله هـذا عممناه فجعلناه يشمل الصنفين السابقين (المولد) و (المعرب) وكذلك هو يشمل بظاهره الكلمات العامية فهي مقبولة عنده اذا لم يكن في اللغة ماينوب منابها واذ ذاك نكون في احاجة اليها ٠

(١٥) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » ان الكلمات العامية تختلف في رأيه اختلاف الادوية وعلينا ان نصنفها ونميز بينها كما يفعل الصيدلي في ادويته قال: (فالسام من الالفاظ هو العامي القبيح الذي يكون له مقابل فصيح — والمضر هو العامي المبتذل — والنافع هو العامي المولد الذي لاغنى لنا عنه ولاسيما اذا كان لمعناه علاقة بالعلوم — والمغذي هو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العامي الفصيح الجامع لشروط الفصاحة والبلاغة اه)٠ فيفهم من هذا انه يقبل العامي بشرط ان لا يكون له مقابل فصيح وأن لا يكون مبتذلاً ٠ أما العامي المبتذل أو الذي له مقابل فصيح فلا يجوز قبوله ولا تدوينه ٠ واما العامي الفصيح فهو نعم المغذي والمنمي للغتنا ٠

(١٦)— رشيد بقدونس « مجلد٩ ص١٠٣ » (في هذا الصنف تفصيل اجاد فيه من اجاب قبلي) وقد عنى الاستاذ بهم من ميز بين الكلمات العامية : فقبل بعضاً ورفض بعضاً ٠

هذا وقد بقي من المجيبين استاذان : (الزهاوي) و (الرصافي) وفي جوابها نغمة لم نسمعها من غيرهما ٠

(١٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » واما هـذا الصنف السابع فلا وجه لجعله صنفاً على حدة يستغنى عنه في يوم صوت الجهل فيه اقوى من صوت العلم) اه ٠

ولم افهم ماأراده بعبارته الاخيرة: هل اراد احتقار العامي كما احتقره الاستاذ النكدي وانه اذا اراد الاعراب عن رأيه في احتقاره قام الجاهلون فرفعوا اصواتهم بالانتصار له — أو أنه على العكس يراه موضعاً للاهتمام والدرس وانه اذا اراد التصريح بقبوله قام الجاهلون فرفعوا عقيرتهم بالزراية عليه وانتقاصه وبناء على الفرض الثاني يكون رأي الزهاوي في العامي كرأي الرصافي فاسمع ماقال :

(١٨)— الرصافي « مجلد٨ ص ٣٢ » (الكلام على هذا الصنف لم يحن حينه بعد فلذا أمر به ساكتاً بلا جواب) ثم ثنى على ذلك بقوله (ان مسألة اللغة العامية من اهم مسائلنا الحاضرة التي تستحق النظر والدرس والا فان الاعراض عنها ليس من الصواب ٠

* * *

انتهت الاجوبة على الصنف السابع اعني الكلمات العامية وبانتهائها انتهاء الاجوبة على الاصناف السبعة التي يتألف منها الاقتراح ٠ وخلاصة ماأجابوا به على الكلمات العامية ان واحداً منهم وهو (الاستاذ الرصافي) توقف عن الحكم عليها وأعرب عن حسن الظن بها ٠ وآخر وهو (الاستاذ الزهاوي) جمجم القول في ذلك وهو في الراجح يريد ماأراده رصيفه وابن بلده ٠ وثمانية منهم ميزوا بين هذه الكلمات العامية فقبلوا بعضاً ورفضوا بعضاً ٠ والباقون وهم ثمانية أطلقوا القول في رذلها ومقتها وعدم قبول شفاعة فيها ٠

* * *

والفتوى الصريحة والقول الفصل في الاصناف السبعة :

ان العامي[1] لايجوز استعماله في اللغة التي يخاطب بها الخواص ولا تدوينه باعتبار انه لفظ عربي . أما سائر الاصناف فتقبل وتستعمل وتدوّن بشيء من التحفظ والاحتياط في الصنف الثالث (وهو الكلمات الاصطلاحية) والصنف الرابع (وهو الكلمات المولدة) والصنف الخامس (وهوالكلمات المعربة) . فيحسن في هذه الاصناف الثلاثة استعمال مايقوم مقامها من اللغة الفصحى إن أمكن وإلا استعملت من دون نكير .

« المغربي »

---

(١) مثال هذا العامي الذى دوّن باعتبار انه عامي وقد استعمل في لغة الخواص - كلمة (مُصان) اسم مفعول من أصان وصوابه مصون من صان . وصاحب التاج دوّن كلمة (مصان) لكن لا باعتبار انها فصيحة بل عامية وهذه هي عبارته وعبارة القاموس (صانه صوناً فهو مصون حفظه ولا يقال أصانه فهو مصان وهي لغة العامة . وكذا قولهم منصان فانها منكرة : اه . هذا مثال تدوينها مع التنبيه عليها . أما ذكرها في لغة الخواص فكقول شيخنا في مطلع قصيدة زفافية وجّه فيها باسماء سور القرآن :

(تباركَ فاطرُ القمر المُصان   برب النـاس والسبع المثاني)

شعوب سورية
وآثارها القديمة (١)

عنيت الامم منذ القديم بالفنون الجميلة وخاصةً منها الصنائع وكان حظ كل أمة من هذا الشأن بحسب رقيها وحضارتها وكان الملوك والعظماء يجمعون آثار مشاهير فناني العالم ويتنافسون باقتنائها لا لغاية علمية بل للزينة والتفاخر ودام هذا حالهم حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد فظهر كتاب تاريخ الفن عند الاقدمين لمؤلفه (Winckelmann) الألماني وهو اول من وضع أسس هذا العلم الحديث علم الآثار القديمة ومنذ ذاك اليوم أصبحت المجموعات الأثرية مكتبة يرجع اليها بعد ما كانت من جملة المتاع تزين بها القصور .

لم يقتصر التجدد في عصرنا هذا على العلوم والفنون فقط بل تعداه الى التاريخ ونهج المشتغلون به نهجاً جديداً . فقد كان التاريخ فيما مضى كتاب أدب يجمع بين الاخبار والفكاهات ويدس فيه حوادث ما أنزل الله بها من سلطان رغبةً في تأييد مبدإ او خدمة حاكم حتى أصبح الكثيرون يشكّون بصحة ماورد في أكثر هذه الكتب ولطالما قرأنا روايتين أو أكثر لحادث واحد تختلف الواحدة عن الأخرى اختلافاً كبيراً حتى أصبح التاريخ القديم في ارتباك عظيم .

ان مؤرخي العرب هم اول من أدرك وبال هذا المنهج العقيم لما عانوه من المشاق في استنتاج الحقائق من المصادر التي دوّنها الأقدمون وحضوا الكتاب على أمانة النقل حرصاً

(١) المحاضرة التي القاها الامير جعفر الحسني في ردهة المجمع العلمي في ٩ شباط سنة ١٩٢٩ .

على الفائدة ولإدراك الغاية التي وضع التاريخ من أجلها فليس هو مضماراً تتبارى فيه قرائح الشعراء أو تخدم بواسطته الاهواء . ولذلك نرى مؤرخي العرب مثل الطبري وابي الفرج وابن الأثير وابن خلدون وابن عساكر وغيرهم قد نهجوا منهجاً جديداً في تدوين الحوادث والأخبار حتى أصبحت مصنفاتهم من مفاخر الحضارة العربية لما امتازوا به من الضبط والدقة والصدق في إيراد الأخبار وياحبذا لو اتصلت سلسلة تلك التواريخ العربية حتى يومنا هذا . وقد توسع علماء الغرب بالضبط والدقة منذ ظهور الطباعة وانتشارها في العالم حتى انه لا يُقدم احدهم على سرد حادث دون ان يؤيده بادلة راهنة او الاشارة الى المصادر والمآخذ مع تعيين الصفحة والسطر واذا لم يتوصل الى معرفة أمر أقر بعجزه بكل صراحة دون ان يرى بذلك مايحط من قدره ولا يستنكره عليه احد . ولما لم يجد علماء التاريخ في التآليف القديمة مايفي بحاجتهم وضاقت بهم سبل الهداية لمعرفة الماضي عمد بعضهم الى بطن الارض يستنطقون دفائنها ويستضيئون بقبس كنوزها . وأطلق على هذه الفئة اسم علماء الآثار لانهم يعتمدون على الآثار دون سواها .

ان علم الآثار القديمة فرع من فروع التاريخ ومن اصعبها مراساً اذ يحتاج صاحبه الى انتباه قوي وذوق سليم فان هذا العلم لا يقتصر فيه فقط على جمع الآثار القديمة في المتاحف ووصفها بل الصعوبة كل الصعوبة في حل رموزها وفهم كنهها واستجواب تلك الشهود الصامتة واستنتاج الحقائق منها وقد قال Volney ما ترجمته « ان مهمتنا أصعب من مهمة علماء الطبيعيات لأننا لا نشتغل مثلهم باجرام ملموسة أو بحوادث واضحة للحواس بل نعمل كهيئة تحقيق لديها حوادث أدبية غائبة وربما كانت مختلفة نقلها الينا بعض شهود عيان أواتصلت بهم أخبارها من الرواة وبتكلم هؤلاء المحدثون لغات مختلفة قد تلاشت فيتطلب منا تعلمها وهي العثرة الاولى في بدء الامر وقد نخطئ بترجمتها . ثم يجب علينا البحث عن الحوادث أو الوقائع المبعثرة التي تؤيدها وتكون هذه غالباً محرفة بتناقلها من فم الى فم ويتطلب منا بعده مقابلة هذه الروايات والتثبت من أخلاق محدثيها وصدق تحقيقهم ويكون التناقض في بعض الحوادث واضحاً فينشأ عنه صعوبات لا مخرج منها اهـ) .

وقد أصبح النظر اليوم في أبحاث علماء الآثار وتحقيقاتهم من الواجب على كل مؤرخ ومحقق كما يستنير بهما كل لغوي ومفسر . فكم معضلة تاريخية ولغوية حسمت بفضل هذا

العلم . وكم من حوادث جاءت في كتب السلف بل وفي الكتب المنزلة فذهب الناس في تأويلها وشك بعضهم في صحتها ولولا علم الآثار الذي أماط عنها اللثام وأظهرها للعيان ملموسة محسوسة لقالوا عنها أساطير الاولين . أليس أشور والكلدان ومصر وفارس ويونان شهود عدل على جهود الذين اكتشفوا آثار تلك البلاد وبعثوا ذكرهم بعد ان كانوا نسياً منسياً الوفاً من السنين . .

لم يدون الأقدمون غير النذر اليسير الذي وصلهم من أخبار الشعوب القديمة وأغفلوا ذكر أكثر الأمم البائدة التي ذهبت أخبارهم بزوال أصحابها ولو اكتفينا بهذه النصوص المشوهة لما كنا أوفر حظاً ممن تقدمنا بمعرفة أخبار السلف . وبفضل هذا العلم نعرف اليوم أكثر أخبار هذه الامم كما نعرف حوادث الامم في القرون الوسطى . وقد توصلوا الى معرفة ما كان عليه الانسان قبل عشرات الالوف من السنين يوم كانت الارض وطاءه وأديم السماء غطاءه يقتات بالنبات ويفترس الوحوش مع اننا نجهل اليوم ونحن في القرن العشرين كثيراً من عقائد بعض الشعوب المعاصرة وعاداتها ممن تقطن مجاهل إفريقية وسواها من القارات الخمس ، ومن الانصاف ان لا ننكر فضل من نقلوا الينا أخبار السلف لان هذا الشيء اليسير هو الذي أثار في فئة من الناس حب الاستطلاع فدفعهم في هذا السبيل . وكانت هذه النصوص على علاتها نوراً يستضاء به ومرجعاً يستأنس به . وعلماء الآثار أصدق الناس في هذه الروايات وان كان لا ينكرون وقوعها فهم لايجزمون بصحتها الامتى عثروا على دليل من ذلك العصر يؤيدها . ولأبحاث علماء الآثار ميزة جديرة بالاعتبار فهي في أكثر الأحايين تكون منزهة عن الأغراض والغايات والأهواء . وقد يخطئ الأثري في استنتاجه ولكنه لايتعمد تشويه الحقائق لان همه الوحيد ان يحيي الماضي البعيد ويجعل المعاصرين كأنهم يعيشون في ذلك العصر وذلك المحيط . ومن منا لا يشعر بمثل هذا الشعور عندما يزور متحفاً أو معبداً أو أطلالاً قديمة . وكيف يمكنه ان ينكر الحقيقة ولسان حال هاته الأمم البائدة تقول :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

لقي هذا العلم الحديث اقبالاً عظيماً في بلاد الغرب فعنيت حكوماتها به وأرصدت للمشتغلين به أموالاً طائلة ، وأنشأت له المدارس والمجامع العلمية أسوة ببقية العلوم وقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبدت هذه الفئة لفئة الاثريين رغم قلة عددها نشاطاً عظيماً ووضعت في مدة قصيرة كثيراً من المؤلفات القيمة المفيدة وأحيت كثيراً من اللغات القديمة المندرسة وحلت رموزها • وقد نال الشام قسطٌ وافر من هذه الأبحاث فهي اولى بقعة اتجهت نحوها الانظار وخصوصاً فلسطين لمكانة الشعوب التي استوطنتها منذ الزمن الأطول وأهمها الشعب الاسرائيلي وعلاقة الامم الغربية بكتابهم المقدس. فقد أوفدت اكثر حكومات الغرب بعثات علمية للتنقيب عن آثار سورية واول بعثة رسمية وطئت بلاد الشام هي البعثة الافرنسية التي رافقت الحملة الافرنسية في سنة ١٨٦٠ •

يقسم التاريخ القديم في سورية كما في غيرها من البلدان الى عهدين واضحين الاول عهد ما قبل التاريخ والثاني العهد التاريخي •

فالعهد الاول هو عصر الظران اوالطور الحجري وينقسم الى قسمين احدهما حقبة الحجر المنحوت (Paléolithique) والآخر حقبة الحجر المصقول (Néolithique) وهو احدث من القسم الاول وتختلف مدة هذا العهد بحسب الامكنة • وليس هذا العهد تاريخ حياة البشرية بل هي مرحلة من تقدم الجماعات الفكري والمادي وقد اختلف العلماء بتحديد اقدم تاريخ لهذا العهد فمنهم من يقول من (١٠٠ الى ٢٠٠٠٠٠) سنة ومنهم من يقول من (٦ الى ٨٠٠٠) سنة • تعتمد الفئة الأولى على تكوين طبقات الارض والهواء وتعتمد الثانية على نظريات دينية تأييداً لما جاء في التوراة عن تاريخ الخليقة فلا يمكننا ان نهمل نظريات علم طبقات الارض وقد ثبت ان طبقة الارض كانت منذ مئات الوف من السنين صالحة لحياة البشر كما انه لا يمكننا الا التسليم بما جاء في الكتب المنزلة . (وهنا يبدأ دور علم الآثار عسى أن يوفق بين النظريتين والعلم لا ينافي الدين •)

لقد ثبت حتى الآن ان الانسان لم يكن منتشراً في اكثر انحاء الارض كما هو اليوم لأنها لم تكن جميعها صالحة لسكنى الانسان الاول فكان يكسو الجليد المرتفعات وتغمر المياه السهول ما خلا بعض السواحل والهضاب في القارات الخمس حيث أوى اليها الانسان • منها سيبريا والقفقاس وجزيرة العرب فكانت تمتاز هذه الاصقاع عن غيرها باعتدال هوائها وخصب ارضها ووفرة دواجنها وكانت سيبريا والقفقاس مأهولتين بجماعات الآريين وجزيرة العرب بجماعات الساميين ودام هذا الحال حتى طرأ على الارض بعض

الطواري الجوية فتقدم الجليد من شمال اوروبا حتى جنوبها فاشتد البرد وكثرت الامطار وارتفعت المياه فغمر الطوفان معظم السهول فهلك خلق كثير من البشر فتفرق من بقي من هذه الجماعات فراراً من الموت تلتمس ارضاً تقيها من الخطر فنزح قسم من سكان سيبريا والقفقاس نحو الجنوب فوصل جماعات منهم الى سورية وكانت سهول سورية يومئذ مغمورة بالماء الا قليلاً منها وبقيت سورية زمناً طويلاً مأهولة بجماعات الآريين ثم حدث في اثناء اقامتهم بعض الزلازل وتقلص في القشرة الارضية . فجاءت هذه النقمة نعمة على سورية اذ انشقت الجبال وانفتحت الوديان فتسربت منها المياه للبحار واتخذت الأنهر لها مجاري ثابتة لجفت الارض واصبحت سورية قابلة للسكنى .

وقد وصلتنا اخبار هؤلاء القوم من آثارهم التي خلفوها لنا في الكهوف التي سكنوها ومما اودعوه من مصنوعاتهم قبور موتاهم . وثبت أن اشكال ذلك الانسان الصياد لا تختلف عن انسان اليوم وهذا يبطل ما علق في بعض الاذهان من أن الانسان القديم يفوقنا بكبر جسده مع انه كان معتدل القامة يسكن الكهوف الطبيعية ويلبس الجلود ويقتات من النبات والصيد فبقي زمناً طويلاً يجهل المعادن . واحتياجاته محدودة جداً لا تتعدى قطع الظرّان والصوان التي تشبه رؤوس الحراب والسكاكين والمناشير والفؤوس كان يستعملها للدفاع عن نفسه وللصيد ثم تدرج في الرقي فتغلب على الحجر فصار يصقله ثم استخدم العظم فنقشه ثم اكتشف صنع الخزف وهو اول ابتكار صناعي عرفه الانسان . وتشبه قبور هؤلاء القوم وصناعاتهم صناعات معاصريهم او اسلافهم في غيرها من البلدان في القارات الخمس وهذا ما يؤيد هجرة الانسان وتنقل هؤلاء الجماعات عقب الطواري التي فاجئت الارض وغيرت اوضاعها الجغرافية . وقد حلت في جزيرة العرب طواري طبيعية عقب التي حلت في سورية بزمن طويل قاسى اهلها الشدائد من جدب الارض وقلة الامطار فنزحت جماعات الساميين نحو الشمال لأنه المنفذ الوحيد لهم اذ البحار تكتنفها من جهاتها الثلاث فسلكوا سواحل خليج فارس حتى نزلوا العراق . ثم توغلوا في شمال سورية ثم في جنوبها حتى وصلوا الى بلاد الحبشة . وقد تغلبت جماعات الساميين في برهة الفي سنة على جميع سكان تلك البلاد حتى اصبحت سامية اللغة كما عرفها التاريخ . ونشأ من مزيج هذين العنصرين عهد جديد يمتاز برقيه ومدنيته . وتفرق هذا المزيج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بطول الزمن الى شيم وشعوب عرفنا منهم منذ الالف الثالثة قبل الميلاد الآشوريين والبابليين في العراق والكنعانيين في فلسطين والاراميين في سورية الداخلية والفينيقيين في سواحل لبنان والعرب في جزيرة العرب فاصبح لكل منهم حضارةٌ ولغةٌ يتنازعون بينهم السيادة رغم انهم يمتون جميعاً الى أرومة واصل واحد .

وما هجرة بني اسرائيل من صحراء التيه الى فلسطين وغزوات العرب في صدر الاسلام قبلاد الدانية والقاصية سوى مثال قريب العهد لتلك الموجات البشرية التي غشيت البلاد . ولم ينس هؤلاء الشعوب رغم تقادم العهد على استيطانهم هذه البلاد أنهم دخلاء . فيؤكد المؤرخون الاقدمون أن الفينيقيين جاؤا من جزيرة العرب وروى (هردوتس) Herodote المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد أنهم انحدروا اليها من سواحل البحر الاحمر ويقول استرابون (Strabon) إن أصلهم من خليج فارس كما كانوا يدعون . وكذلك يتذكر الكنعانيون نزوحهم من مدينة اور من بلاد آشور في سني الالفين قبل الميلاد . وان تكن هذه الشواهد حديثة العهد بالنسبة لحوادث التي سردناها غير انها تشير بوضوح الى اتصال أخبار السلف بالخلف والشعوب السامية أكثر الشعوب تمسكاً بانسابها وحفظ أخبارها ، وقد برهن العلم الحديث على فائدة هذه الروايات لاستنتاج الحقائق منها وهكذا وصل الينا غيرها من الأخبار . أذكر منها روايتي الطوفان وسيل العرم . فقد عثروا في خرائب نيبور من بلاد آشور على وثيقة تاريخها من نحو (٢٢٠٠) سنة قبل الميلاد اي قبل هجرة ابراهيم عليه السلام بمئتي سنة وفيها وصف لطوفان اتصل بهم خبره وخلاصته : انه كان « انكي » (Enki) آله الماء وزوجته نينلا (Ninella) يحكمان البشر والسعادة سائدة في العالم والانسان بمأمن من الموت والأمراض والآفات فنقم انكي (Enki) على عباده لمخالفتهم تعاليمه وعزم على إبادتهم بطوفان فدعى احد عباده الصالحين واسمه اوتو (Uttu) وأسرَّ اليه بالأمر وطلب منه ان ينجو بنفسه على سفينة وهكذا كان الأمر فهلك جميع البشر الا صاحبه أوتو (Uttu) فتناسل منه البشر ثانية ولكنه حرم البشر السعادة التي كانوا يتمتعون بها من قبل وقدر على الانسان ان يسعى ليعيش وعرضه للامراض واخطار الفناء . وهكذا خرج الانسان بذنبه من النعيم الى الجحيم ، وماأشبه هذه الرواية بطوفان سيدنا نوح . وقد اتصل بسكان جزيرة العرب حادث آخر وهو سيل العرم وليس

هذا السيل الا احدى الكوارث الآنفة الذكر لأنه لا يُعقل ان يكون في بلاد سبأ سد يجمع هذا المقدار من الماء وخصوصاً مياه جزيرة العرب قليلة شحيحة . والأرجح ان العوامل التي دحرت الانسان القديم من الشمال الى الجنوب هي نفسها التي أرغمت جماعات جزيرة العرب على ان يهجروا بلادهم الى الشمال . وما سيل العرم الا طوفان حصل لما اشتدت حرارة الهواء في العصور القديمة فأذابت الثلوج المتراكمة منذ ألوف السنين في قمم جبال جزيرة العرب ومرتفعاتها فهكذا كان سيل العرم في بلاد سبأ فتفرق سكانها في كل البلاد أيدي سبا .

وقد دامت هذه الحوادث التي استعرضناها في اسطر عشرات الالوف من السنين كان يتدرج الانسان خلالها نحو الرقي وساعده على ذلك استقرار حالة الارض الطبيعية في الالف العاشرة فثابر على خطة الابتكار والعمل اتباعاً لسنة تنازع البقاء فتوفرت لديه المعدات وجعل لنفسه مسكناً ونسج ملابسه واستخدم الحيوان واستثمر الارض أصبح صانعاً وفناناً وفلاحاً بعد ان كان الوقت من السنين مشرداً صياداً فانتقل في آخر العهد الحجري من البداوة الى الحضارة فصار قسم منهم يتعهد الارض وقسم يعتني بتربية المواشي وهكذا تكون صنفان من البشر بدو وحضر . رعاة ينتقلون بمواشيهم من بقعة الى بقعة ارتياداً للماء وانتجاعاً للكلأ وفلاحون يقيمون بمزارعهم يعملون في الارض ويستغلونها .

وقد ابقت لنا جماعات عصور قبل التاريخ كثيراً من آثارهم في سورية وجدت في الكهوف التي كانو يأوون اليها او في قبور موتاهم ويمكن منها تتبع رقي الانسان وتدرجه في الحضارة . وليست هذه الآثار تماثيل ونقوشاً او اواني نفيسة . بل هي شظايا من الظران والصوان المنحوت والمصقول او عظام حيوانات زينتها ايدي الصانع او خزف بسيط وقبور تلك الشعوب البائدة وهذه الآثار كانت صنعتها تتحسن كلما اقترب الانسان من العهد التاريخي . ورغم قلة المشتغلين من العلماء بعصر قبل التاريخ في سورية فقد اهتدوا الى اماكن عديدة وجد فيها من آثار ذاك الانسان في عدلون . ونهر ابراهيم . وانطلياس . ونهر بيروت . وطرابلس . ونبع نهر الكلب والمعاملتين . وتبنه . والبقيعة . وتعنك . ومجدو . والكرمل . واذرعات . وجرش . وعمان . والكرك . ووادي موسى .

والقدس · وفي الفلاة الممتدة من جبرود حتى دير الزور وفي كثير من الاماكن في سورية الشمالية ·

وطال امد العهد الحجري في سورية اكثر منه في مصر والعراق ولهذين القطرين فضل كبير في تحضير جماعات سورية والعالم اجمع · فقد شيدا بين سنة (٤٠٠٠ و ٣٠٠٠) قبل الميلاد عمراناً عظيم الشأن بينما كانت سورية وبقية العالم تخبط في ظلمات الجهل والامية وقد ارتقت سورية الى مصافهما في الالف الثالثة قبل الميلاد لما تقوى عليها العراق وحمل اليها معارفه ومكتشفاته واهمها المعادن والكتابة · والعصر التاريخي ينتهي في كل امة من يوم وقوف اهلها على الكتابة لتسجيل اخبارهم وتدوين وقائع عصرهم . وقد دفعت سورية ثمناً باهظاً لحصولها على حضارة مجاوريها وهذا الثمن هو حرمانها استقلال جماعاتها · فمنذ ذلك التاريخ وسورية تنتقل من يد مسيطر الى آخر حتى يومنا هذا · وكأن موقع سورية الجغرافي وخصب ارضها وكثرة غاباتها هو سبب بلائها فهي حلقة الاتصال بين الغرب والشرق ومنفذ لكليهما · فمنها كانت تستورد مصر والعراق مايعوزهما من الخشب لبناء دورهم وصنع عماراتهم البحرية ·

وكانت سورية في اكثر ادوارها التاريخية ساحة حرب يتنازعها العراق ومصر ويطمع بها الحثيون واليونان والفرس والرومان كما جاءها العرب والترك من بعد · وقد ترك كل من هذه الشعوب اثراً من حضارتهم وعوائدهم · ولا يمكن معرفة تاريخ سورية الا بالرجوع الى وثائق تلك الشعوب ورقمها وقد امتزج تاريخ سورية بتاريخ هذه الشعوب ولايمكن عزله عنه لعلاقته بحوادث الامم التي كانت تدين لسلطانها · ولذلك نرى في سورية مدنية ظاهرها مزيج من مجموع حضارات مختلفة يتعذر لأول وهلة تمييز بعضها عن بعض وتتبع سير تطورها · ومع ان هذا الدور يدعى بالعهد التاريخي فهو بالحقيقة اعقد مما سبقه من الادوار على كثرة المصادر والوثائق · وقد اصبح في سورية من جراء هذه التجزئة والمنازعات السياسية دويلات مختلفة بلغاتها وعوائدها وعقائدها اهمهم الكنعانيون والاراميون والعموريون والفينيقيون وكثير غيرهم من طوائف حدود سورية الشرقية والجنوبية · وقد خضعت هذه الدويلات لسلطة الآشوريين والبابليين والمصريين والحثيين وفارس واليونان والرومان · وكانت دمشق أقوى ممالك الاراميين · ويتعذر على المؤرخ ان يسرد حوادث

كل من هذه الأدوار لو لم يسعفه الأثري ويرشده في هذا المسلك الوعر .

وحوالى سنة (٢٠٠٠ ق . م .) كان هؤلاء الساميون بلغوا درجة من الحضارة لا يستهان بها . معظمها مستمد من مصر وبابل . وقد شغف الفينيقيون بحب البحر ومهروا بعلم الملاحة حتى سيطروا على البحار والأسواق التجارية في جميع سواحل البحر المتوسط فحملوا سلعهم وتعاليم الحضارة الشرقيـة الى اقصى بلاد افريقيا الشمالية واسبانية وجنوبي فرنسا وجزر صقلية وقبرص وكريت وقداستوطن هذه البلاد جماعات من الفينيقيين وأسسوا فيها حكومات كان لها شأن عظيم في التاريخ .

ولم يبق لنا الزمن الا النذر اليسير من آثار شعوب سورية السامية في العصور القديمة لأن اسلافنا كانوا يبنون بيوتهم وهياكلهم من الطوب المجفف بالشمس كما هو الحال حتى اليوم في بعض المدن والقرى السورية ولا يخفى ان هذا النوع من البناء لا يعمر طويلاً فتنهار البيوت برمتها فيعمد أصحابها الى بناء غيرها على أنقاضها وجرى النـاس على هذا الأسلوب من البناء قروناً متوالية فتكونت منها تلال اصطناعية وهذه التلال تعد بالمئات في سورية : كتل أريحا في فلسطين وتل الصالحية في الغوطة وتل الدرخبية في وادي العجم وتل النبي مندو وتل المشرفة بجوار حمص وتل جرابلس على الفرات وقد حفظت لنا الأيام في بطن هذه التلال والقبور كثيراً من الآثار التاريخية المهمة ، وقد عثر المنقبون على كثير من تواريخ الأسر والرسائل والصكوك والحسابات والمذكرات وغيرها من الرقم ووجدوا ايضاً كثيراً من الأثاث والأواني الجميلة المزخرفة والرسوم المنقوشة . واما البنايات الأثرية القديمة مثل بعلبك وجرش وتدمر وغيرها فهي من العهد الروماني فقط ولكنها شيدت على أنقاض هيا كل ومدن أقدم منها عهداً .

ولقد تبين من الحفريات التي أجريت في سورية ومن الآثار التي اكتشفت فيها — ان آثارها تختلف عما وجد في البلاد المجاورة لها ولا يرجى ان نعثر في هذه البلاد على آثار تثير بجسامتها إعجاب العـامة قبل الخاصة كما هو شأن آثار مصر وأشور والفرس . والسذاجة في الصناعات تغلب على السوريين منذ القديم ،هذا ناشيء عن طبائعهم ومعتقداتهم فالسوري في جميع أدواره التاريخية يميل الى السـاذج وهذا يظهر في صناعاته وفلسفته الدينية وتجلى في هذه البساطة مواهب السوري الفنية فقد جمع بين السـاذج والجميل فأحسن الصنع

وأبدع . ونقل الآثار المنقولة النفيسة التي اكتشفت في سورية بالنسبة الى ماوجد في غيرها من البلدان المجاورة . وهذا القليل يشهد ببراعة الصانع السوري وذوقه السليم وهو ذو مكانة بين أقرانه من فناني بقية الشعوب . وليس معنى قلة العاديات عدم انتشارها في البلاد بل لانها لم تتصل الينا لاسباب وعوامل شتى . اولاً : لأن اكثر تربة سورية رطبة لاتحفظ مايودع فيها . وثانياً : لأن السوريين قلما يودعون مدافن موتاهم نفائسهم كما هو شأن المصريين وغيرهم من الأمم القديمة بل يكتفون بالاشياء البسيطة كقوارير الشبه أو الخزف، وشيء من أدوات الزينة من الفضة أو النحاس أو الذهب أو قطع سلاح واذا أضفنا الى خلو القبور من الأعلاق مافد كتبه اشمو نزار ملك صيدا على تابوته مخاطباً به نباشي القبور ناصحاً لهم بان لايهتكوا حرمته مؤكداً أن لاذهب في قبره ولا فضة — تدركون سر ندرتها بين أيدينا فاذا كان هذا حال ملوكهم فما بالكم بالرعية . وخلو القبور منها هو حجة لسورية لا عليها ودليل على سمو عقيدة سكانها ونضج فكرتهم منذ القديم . لأن السوري كبقية الشعوب السامية يغلب عليه الاعتقاد بأن الجسم مادة تتلاشى مع الزمن ليست جديرة بالاكرام الذي يبالغ به غيرهم من الشعوب ومع هذا فقد انتشرت في سورية عادة وضع بعض الاشياء في القبور وذلك بمؤثرات خارجية واقتباس عادات الغالب لأن سورية كانت في أكثر أدوار تاريخها خاضعة لسلطان أجنبي كما ذكرنا آنفاً .

سورية مهد ثلاث ديانات يدين بها اليوم معظم البشر وهذه الديانات لم تكن ابنة ساعتها بل هنالك عوامل مهدت لها السبل مدة قرون عديدة قبل ظهورها ويهم العالم أن يعرف تطورها قبل نشوئها وهذا ما يزيد في مكانة آثار سورية ويجعل اقبال العلماء عليها اكثر من سواها لعلاقتها الكبيرة بنظامنا الاجتماعي الحاضر . وقد أدركت جمعية الامم هذا الامر واحتاطت له خوفاً من المزاحمة او استئثار دولة بهذه الآثار دون سواها . ولذلك اشترطت في المادة الرابعة عشرة من صك الانتداب ان يكون النظام الذي سيوضع لحماية العاديات مستمداً روحه مما يدعو الى التنشيط اكثر منه الى التثبيط كما انها اشترطت على الحكومة المنتدبة عند منحها إجازات بالحفران لاتتصرف بشكل يرمي الى حرمان علماء أي شعب كان من تلك الإجازات دون أسباب موجبة .

* * *

آثار سورية . — ان معظم البنايات الاثرية التي نعرفها اليوم ويؤمها الزائرون من جميع أنحاء العالم مثل بعلبك وتدمر وجرش وبصرى الشام ومادبا هي حديثة العهد بالنسبة لقدم حضارة سورية ويغلب عليها تأثير الفن اليوناني والروماني والبيزنطي وقد ثبتت هذه البنايات على طوارئ الايام لان بناءها من الحجر الصلب المنحوت بخلاف البنايات التي قبلها فقد درست لانها كانت من الطوب المجفف وهذه البنايات هي معابد وهياكل ومدن لها شهرة عالية لانها بالحقيقة احدى معجزات الفن المعماري وهي في غنى عن كل وصف وقد برع السوريون بالبناء وكانت روما تستدعيهم لتشييد بناياتها العامة .

وفي سورية بقايا بنايات أثرية لها أهمية تاريخية عظيمة منها منبج من أقضية حلب وقد أطلق عليها اليونان اسم (Hierapolis) نسبة لأيراء (Aera) المعبود الأشوري وجاء اسمها (Mappigu) في الوثائق الاشورية وفي هذه البلدة أقدم معبد سوري وكانت هذه المدينة مقدسة يقصدها الحجاج من جميع انحاء سورية وقد كتب لوسيانوس المؤرخ الاشوري الاصل كتاباً في هذا المعبد وطقوسه الدينية وشعائره وحكاية بنائه وأسبابها ونسب بناءه الى (Stratonice) زوج ملك أشور . كما انه عقد في كتابه فصلاً في قدم مدينة جبيل الواقعة على طريق بيروت — طرابلس ووصف عبادة اهلها لأدونيس آله الانتاج وقد أبدت الحفريات الأخيرة قدم هذه المدينة فقد عثروا فيها على معبد قديم وجدوا تحت بلاطته عدداً من الاواني والادوات زين بعضها اسم الفرعون (Mycerenus) من السلالة الرابعة وباني احد اهرام مصر الكبيرة بين سنة (٢٩٠٠ و٢٧٥٠) قبل الميلاد واسم الفرعون (Ounas) من السلالة الخامسة واسم (Pepi II) الثاني من السلالة السادسة ووجدوا ايضاً غيرها من الادوات المصرية أحدث عهداً من الاولى وهذا يؤيد علاقة مصر بالفينيقيين قديماً وكان المصريون يطلقون اسم (Keben) على مدينة جبيل حتى في عهد السلالة الثانية عشرة وذكرت بهذا الاسم في الرقم المصرية منذ سنة (٣٠٠٠) قبل الميلاد وكان المصريون يستوردون من جبيل الخشب اللبناني لصنع سفنهم وربما كانوا يصنعونها في نفس مدينة جبيل وقد أطلق المصريون اسم (Kebenit) على اسطولهم الفخم نسبة الى (Keben) وهي جبيل كما ذكرنا . وقد عثروا ايضاً على بعض مدافن ملوك جبيل وأمرائها منهم أحرام المتوفى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد نقشت على جوانبه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورة الملك يتناول القرابين من أتباعه وبعض الشعائر الدينية وهو قائم على اربعة اسود ومما يزيد في شأن هذا الأثر الكتابة الفينيقية التي زيرت عليه وهي أقدم كتابة أبجدية عرفت حتى اليوم وهذه ترجمتها «عمل هذا الارران (اي التابوت) إرشبعل بن أحرام ملك جبيل لابيه كي يكون مقره الأبدي فاذا ناصب ملك من الملوك أو حاكم من الحكام العداء لجبيل وأخرج هذا التابوت من تحت البلاط فيكون خاتور خصمه فيدك عرش ملكه ويعم الخراب جبيلاً فيما اذا محا هذه الكتابة ٠٠٠٠٠٠) وآثار جبيل هي أهم ما عثر عليه حتى اليوم في سورية من الوجهتين الفنية والعملية ويحق لمتحف بيروت أن يفاخر بها ٠

ومن اعجب ما ذكره لسيانوس المؤرخ عن عبادة اهل جبيل لأدونيس أنهم كانوا يزعمون ان أدونيس هذا خرج للصيد في جبال لبنان فوثب عليه خنزير وافترسه عند نبع نهر ابراهيم حيث نرى الى الآن نقوشاً ورسوماً تشير الى هذا الحادث وقد اطلقوا على هذا النهر اسم أدونيس تخليداً لذكر معبودهم ٠ ولكن موت أدونيس لم يكن ابدياً بل كان يموت في فصل الخريف من كل سنة ويبعث في ربيعها وكانوا يقيمون في ربيع كل سنة مأتماً عليه تلبس نساؤهم ثياب الحداد ويجلن في شوارع جبيل باكيات يضربن صدورهن ويشققن جيوبهن حزناً عليه ولكن في اليوم الثاني ينقلب الترح فرحاً اذ يُبعث أدونيس ويرتفع الى السماء فتقام في المدينة معالم الزينة والسرور فيحلق النساء شعور رؤوسهن ومن لا تقدم على هذه التضحية تكفر عن سيئتها بإباحة جمالها لكل طالب طول هذا اليوم ويخصص ريع هذا العمل الشائن لأعمال البر والتقوى ولم يكن هذا العمل الفظيع يستنكر عندهم بل اللواتي يقدمن عليه ينلن حظوة كبيرة لدى مواطنيهم ٠ وكان الفينيقيون يعدون اعمال العهارة والفجور اعمالاً ثمين يتقربون بها الى اربابهم ٠ وقد عثر المنقبون على عدد من الكهوف التي كانت تجري بها مثل هذه المخازي في بلاد فينيقية ٠ ومن الاعمال التي كانت تقشعر لها الجلود عادة تقديم الضحايا البشرية فكان كل منهم يقدم ابنه البكر ضحية لاربابهم ليحصل على بركتهم او دفعاً لخطر داهم وهذه العادة الفظيعة قديمة جداً في سورية وقد دامت حتى العهد الروماني ٠ وبنو اسرائيل هم اول من استفظع هذا الامر وحرموه واستعاضوا عنه بالختان وهو فداء الكل بالجزء ٠

وفي دمشق اثر لا يقل مكانة عن غيره وهو الهيكل بالأمس او جامع بني أمية اليوم ٠

ونرى كثيراً من الكنائس والجوامع شيدت على انقاض هياكل ومعابد قديمة . وتبدأ أقدم معلوماتنا عن هذا الهيكل من القرن العاشر قبل الميلاد الى العهد الذي تلاشت فيه الوثنية من هذه البلاد وكان يعبد فيه الآله (Hadad) او (Ramman) ورفيقته (Atargatis) . وحداد هذا عند الاراميين بمنزلة (Jupiter) و (Zeus) عند اليونان والرومان وقد ورد ذكر هـذا المعبد مرتين في التوراة في حديثه عن شفاء نعمان وكانت شهرة هيكل دمشق عاصمة مملكة ارام عظيمة جداً حتى ان اخاز (Achaz) ملك بني اسرائيل لما جاء الى دمشق للسلام على (Tiglat Pileser) ملك اشور دهش من معبدها واخذ مقياس مذبحها لكي يبني مثله في بيت المقدس وهيكل دمشق هو في سورية الوحيد الذي احتفظ بهندسته القديمة رغم الطوارىء التي نزلت به والايدي التي تعاقبت عليه وتقسم جميع المعابد السامية السورية الى قسمين : الحرم وهو مختص بالكهنة ولا يقصد الا في ايام الزيارات والقسم الخارجي وهو مباح للعوام . ونرى هذين القسمين واضحين حتى اليوم في هيكل دمشق والحرم هو المسجد الآن والقسم الخارجي هو السور الذي يحيط به ونرى احد ابوابه عند مدخل باب البريد واقدم آثار الهيكل جدران المسجد الخارجية الغربية والشمالية وهي على طراز بناء الجدر المصرية القديمة وقد تحول هذا الهيكل الى كنيسة في عهد (Théodose) في سنة (٣٧٩ — ٣٩٥) للميلاد وبقي كذلك حتى الفتح الاسلامي .

وقد كشفت الحفريات آثار قيمة في تل النبي مندو وهي قديش القديمة احد حصون الحثيين وثبت هذا الحصن طويلاً أمام هجمات المصريين حتى استولى عليه الفرعون سيتي الاول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ودك حصونه وقد خلد انتصاره بنصب محفوظ في متحفنا نقش عليه رسم الفرعون يتناول القرابين من اربابه وارباب الحثيين المغلوبين . وقد عثر الكونت (De Mesnil) منذ سنوات على مدينة قطنا القديمة في تل المشرفة قرب حمص وهذه المدينة كانت زاهرة في القديم فعثر فيها على قبور ملوكها ووجد فيها آثار لها شأن تاريخي عظيم يرجع معظمها الى النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد . وفي شمال سورية كثير من المدن التي سكنها الحثيون زمناً طويلاً وسيكون لآثار هـذا الشعب المجهول مكانة عظيمة متى حلت رموز رقمه وفهمت لغته .

لا يمكننا في ساعة واحدة الا التلميح الى آثار سورية اذ كل أثر منها يستغرق ساعات . وقد سبقنا الغربيون وكتبوا المجلدات عنها فاليهم يرجع الفضل بكشف هذا الماضي المجيد. وآثار سورية هي أحق بعناية أبنائها فتعود علينا بفوائد مادية وأدبية لا تقدر.

جعفر الحسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول كتاب
الفكر السامي
« وصدور جزءيه الثالث والرابع »

--==--

مصنف هذا الكتاب هو العلامة سيدي محمد الحجوي الثعالبي وزير معارف المغرب الأقصى ومدرس العلوم العالية في جامع القرويين بفاس وأحد أعضاء مجمعنا العلمي . وقد كنا قرظنا الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب في مجلد السنة التاسعة (ص٥٠٦) وقلنا ان المصنف بنى كتابه على اربعة أرباع أو أجزاء :

(١) طور طفولة الفقه الاسلامي من بعثة النبي (ص) الى حين وفاته .

(٢) طور شبابه من عهد الخلفاء الراشدين الى آخر القرن الثاني .

(٣) طور كهولته الى آخر القرن الرابع .

(٤) طور شيخوخته وهرمه الى يوم الناس هذا .

وطريقة المؤلف في تأليفه انه يترجم للعلماء والفقهاء من أية فرقة كانوا بعد ان يأتي على مقدمة يذكر فيها نموذجاً من تاريخ فرقتهم ومختلف مقالاتهم ثم يستخرج من ثنايا التراجم تدرّج الفقه وتطوّره وتولّد احكامه وتشعّب مسائله مشيراً الى العجيب من أخبار الفقهاء ورجال الفرق قارناً كل خبر . بما يلائمه من المواعظ والعبر . وما يجب من الانتباه والحذر .

على هذا جرى في الربعين اوالجزءين الأولين . وعليه جرى في الجزءين الأخيرين (الثالث والرابع) . فالثالث في ٥٦ اصفحة وهو يتضمن وصف كهولة الفقه في القرنين الثالث والرابع والعوارض التي طرأت عليه فيها . والمصنف — مع كونه مالكي المذهب — لم يتقيد بمذهبه ولا بعلماء فقهه بل عمّم القول وأفاض في الكلام على جميع رجال المذاهب والفرق

الاسلامية كما قلنا . فكان كتابه اشبه بمجلة فقهية يصح الرجوع اليها في كل ما يتعلق بهذا الموضوع ومن ثم كان خليقاً باقبال الفضلاء عليه والاستضاءة بنوره . وقد انتقد المصنف في هذا الجزء بعض فقهاء المذاهب الذين يرون نصوص أئمتهم أجدر بالاعتبار والأخذ من نصوص الشارع ! ! ! ولعل الأئمة رضي الله عنهم كانوا يحذرون أمثال هذا الغلو فكرهوا ان يكتب عنهم شيء من أقوالهم لأنه اذا كتب ومرت عليه السنون تحجّر وتقدّس . ومماذكره في هذا الجزء ان تدخل الخلفاء بين الدين والفلسفة أضرهما معاً . ولو بقيت العلوم الدينية تسير في طريقها من دون ان تصطدم بالفلسفة لأزهرت الفلسفة وأثمرت الثمرات التي اجتنتها أوربا . ومثل ذلك (القيـاس) فان الفقهاء لولم يقاوموه ويشنعوا على أنصاره لأفادجداً في الترقيات العصرية . ومن مباحثه الممتعة: هل ان نصوص الشريعة وافية بما يلزم للبشر من الأحكام ؟ وهذا البحث والذي قبله وغيرهما من المباحث الكثيرة من أقوى العوامل في نشاط العقول وجعل الفقه الاسلامي مثمراً . لكن المصنف احياناً تغلب عليه طبيعة البيئة فيرى آراء لا تقوى على التمحيص مثل ما في ص ٣٥ من استدلاله برؤيا رآها على أن لله في كل مسألة حكماً شرعياً . وله في الصوفية والتصوف وكل ما له علاقة بهذا الموضوع كلام ونقول ممتعة جداً لعشاق هذا الفن . ومن فوائده انه كان في الاندلس في القرن الرابع للهجرة شورى وترائيب دستورية حبذا لو دامت وعرف المسلمون كيف ينتفعون بها . وفي هذا الجزء كثير من الابحاث التي لها علاقة بترقيات العصر غير ماذكرنا وإن الاشارة اليها تخرجنا عن مسمى (التقريظ) الى مسمى (التلخيص) وقال المصنف في آخر هذا الجزء ان العلماء الى آخر القرن الرابع يسمون (المتقدمين) وعلماء القرون التالية هم الذين يطلق عليهم اسم (المتأخرين) .

وفي الجزء الرابع سرد تراجم هؤلاء المتأخرين الى عصرنا هـذا على طريقته في الاستطراد والاستنتاج الممتع : فوصف الحالة السياسية التي أدت الى انحطاط علم الفقه في المشرق والمغرب . وحرق الاسبانيين لنفائس مخطوطات الاندلس . وان ملك الموحدين (ابا يوسف يعقوب) لما رأى غلبة كتب الفروع على فقهاء زمانه وحيلولتها دون الاجتهاد حرقها وأمر بتصنيف كتب أحاديث الأحكام قال : وكان الفقهاء يعتمدون في ترجيح الأحكام الشرعية على الرؤى ومثل ذلك اعتمادهم على حساب الجمل كما فعل (ابن كمال باشا)

مذ أفتى السلطان سلياً بمحاربة الغوري أخذاً من القرآن بطريقة ذلك الحساب . وبمناسبة كلامه على اصلاح الازهر في العهد الأخير وصف المؤلف جامع القرويين في فاس وهو احد المدرسين فيه . وانه كان سعى في اصلاحه بمساعدة المستشرق الكبير الموسيو (مرسيي) لكن تدخل ذوي الأغراض حال دون ذلك الإصلاح وعطل تنفيذ مواد نظامه . بيد أنه اذا لم ينجح سعيه للإصلاح في ذلك المعهد العالي فقد نجح في المدارس الابتدائية والثانوية — ووصف لنا المؤلف فتنة الخلاف التي جرت بين العلماء والعامة في مسألة : (هل ان الكفار يعرفون الله ؟ ؟) وذلك في اوائل القرن الخامس للهجرة — ووصف لنا الوسائل التي ساعدت على انتشار الاسلام في صحراء افريقية وسودانها — وانه كان من عادة الأندلسيين إبذاء الفلاسفة وتضييق الخناق عليهم وذكر ان الإختصار في المصنفات الدينية استدعى إطالة الكلام في شرحها فضلت الافهام بين هذا الشرح وذاك الإختصار — وذكر ان الفقيه المحدث الورع سيدي رضوان الجنوي أبوه من (جنوه) وقد أسلم لبعض الاسباب (راجعها في ص١٠٣) ثم جاء المغرب فتزوج يهودية مسلمة ومن بين هذين الأبوين ولد سيدي رضوان الذي قال فيه الامام القصار (رضوان الرجل الصالح لو أدركه ابو نعيم لجعله في الحلية) وكانت وفاة سيدي رضوان سنة ٩٩١ ه قال المؤلف : ومن فتاوى (محمد المرغني) المتوفى سنة (١٠٩٠ ه) (أنه لا حرمة للجبانات التي تكون في داخل المدن بل يجوز نبشها وذلك لأن المدن حبس (أي وقف) على الأحياء) قال : ويعتقدون في المغرب ان قراءة تفسير البيضاوي تسبب موت السلطان ولذلك كانوا يحتالون على من يريد قراءته بشتى الوسائل — وذكر أنه يوجد من تاريخ ابن عساكر في خزانة المواسين بمراكش سبعة وعشرون جزءاً كباراً من تجزئة نيف وثلاثين جزء — وترجم المؤلف نفسه ترجمة استغرقت نحو خمس عشرة صفحة ضمنها فوائد شتى .

وختم الكتاب بكلام عام مهد السبيل فيه الى طرائق إصلاح الفقه الاسلامي لحقق موضوع الاجتهاد والتقليد والاختصار في وضع المصنفات الفقهية ووصف صعوبة فهم مسائل كتب الفقه المختصرة حتى أدى ذلك الى فشو الأمية في العامة وذكر من أصول فقه المالكي اصلاً لاعهد لنا به في المشرق سماه (العمل الفاسي) وخلاصته ان يحكم القاضي بما حكم به القضاة الذين كانوا قبله — وبحث في تتبع الرخص وتوحيد المذاهب ولزوم

وضع كتاب في الفقه على نمط المجلة العثمانية يتضمن من الأحكام الشرعية ما يلقم بحاجة أبناء هذا العصر — ونصح بالخضوع لناموس تطور الزمان وتأثيره في تطوير الاحكام وذكر أمثلة توضح ما اراد من هذا التطور والتطوير · ومن هذه الأمثلة التصوير الشمسي والفرق بينه وبين نحت التماثيل وذكر محاورة في هذا الموضوع جرت له مذ كان في تونس مع رئيس وزرائها (ولعله يعني به خليل بوحاجب) — وتساءل هل الاسباب متيسرة لمن أراد الاجتهاد في زماننا ؟ وهنا بحث في ماطبع من الكتب المساعدة على الاجتهاد — الى غير ذلك من الابحاث الجليلة المرتبطة جد الارتباط بمصالح المسلمين في هذا العصر مما ينبغي دراسته والتأمل فيه وخاصة لمن يهمه نجاح الاصلاح الديني الاسلامي العملي لا النظري ·

ومن طريف صنع المؤلف في خاتمة كتابه هذا أنه أتى على ذكر الانتقادات التي وجهها اليه علماء بلاده ثم عقب على كل نقد يورده « تمثيلاً لحالة الفقهية والمناولات العلمية في افريقية الشمالية بالوقت الحاضر » وقد تجلى في هذه المباحث الانتقادية مسألة خلاف علي ومعاوية رضي الله عنهما · وتفضيل المذهب الحنفي على غيره والسبب في ذلك مرونته وصلاحيته للتطور الكوني — وذكر لنا مسألة (الانتوى ببتم شي اذا كانت هناك حاجة داعية الى إباحته) ومن هذا القبيل (عملية السيكورتاه في الاموال) وحاجة المسلمين اليها وان الجمود وعدم تجويز مثل هذا أضر بالمسلمين وجرأ الكاليين على ما فعلوا ·

ويلي ذلك تقاريظ الكتاب وهي كثيرة ثم فهرست مفصل ثم الخطأ والصواب وما اكثر الخطأ في مطبوعات إخواننا المغاربة لكن اذا كان الخطأ في مطبوعاتهم كثيراً فان الصواب في آرائهم ومضامين مصنفاتهم اكثر لعمري ·

المغربي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة اوليا جلبي

- ٥ -

ثم وصلنا الى حماة (١) — وبعد ان ذكر الجلبي نبذة من تاريخها شرع بوصف حالتها في زمن مروره قال :

---

(١) حماة من امهات مدن الداخل في الشام تعلو عن سطح البحر ٣٠٨ امتار ، وهي في وهدة محيقة من وادي العاصي ولذا كانت حارة ورطبة ، تمر منها سكة حديد رياق — حلب « طولها ١٨٩ كيلو متراً » وطريق السيارات المعبدة الممتدة بين دمشق وحلب «طولها ٢١٤ كيلو متراً » وتبعد حماة عن حمص ٤٥ وعن حلب في سكة الحديد ١٤٣ كيلو متراً ٠

وقد وردت حماة في التوراة مراراً باسم حمث الكبرى تمييزاً لها عن حمث الصغرى في قيليقية وذلك تنويهاً بذكرى حماتي من ابناء كنعان الذي ينسب بناؤها اليه ٠ وكانت على ماقيل الحد الشمالي للارض الموعود باعطائها لبني اسرائيل ٠ وخلاصة تاريخ حماة ان الحثيين سكنوها قديماً فيما سكنوا من مدن الشام الشمالية بدليل العثور على بعض كتاباتهم فيها وقد قاست كما قاسته تلك المدن من توالي غارات فراعنة مصر وملوك آشور ودفاع الحثيين واستبسالهم في معارك طاحنة دامت قبل الميلاد عدة قرون الى ان انقرضوا وخلفهم الآراميون ثم الاسرائيليون ثم اليونانيون السلوقيون وقد سماها احد ملوكهم انتيوخس ايفانوس الرابع ايفانيا وظلت معروفة بهذا الاسم في دولة السلوقيين ولما زالت رجع الناس الى استعمال اسمها القديم ثم جاء الرومانيون ٠

لا جرم ان بلاد الشام الشمالية في عهد اليونان والرومان تقدمت في العمران وكان نصيب حماة ان فتحت القنوات في براريها الشرقية ونصبت النواعير على العاصي فازدهرت الزراعة وانتشرت القرى العامرة في شرقي سلمية وحول الأندرين ٠ على ان حماة

كانت في ذلك العهد تابعة لحمص لسبق هذه تلك في المكانة والحضارة . ولما كان الفتح الاسلامي جاءها ابو عبيدة في سنة ١٧ فصالح اهلها على الجزية لرؤوسهم والخراج على ارضهم وجعل كنيستهم العظمى جامعاً وهو الآن الجامع الكبير وسيأتي وصفه . وجعل الخلفاء الراشدون حماة من اعمال جند حمص للسبب الذي تقدم ذكره . ومن الاحداث التي حصلت فيها في اواخر القرن الاول في خلافة عبد الملك بن مروان ارسال قيصر الروم يوستنيانوس قائدين اسمهما موريق وموريقان جاءا وخربا دير القديس مارون الذي كان على العاصي بين شيزر وحماة وقتلا رهبانه البالغين خمسمائة وشتتا شمل اتباع هذا القديس .

ولما انتقلت الخلافة من يد الأمويين الى العباسيين في سنة ١٣٢ من القرن الثاني اورث انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد فتوراً في الشام لأنها اصبحت بعيدة عن نظر الخلفاء الذين قل اكتراثهم بها يحكمها العمال حسب اهوائهم فكان ذلك مدرجة لانحطاط شأنها وفي القرن الثاني وفي النصف الاول من الثالث اشتركت حماة مع حمص في الفتن والحروب الاهلية التي كانت تحدث تارة من تأجج نار العصبيات بين القيسيين واليمانيين وتارة من الوثوب بالعمال ومجيء جيوش الخلفاء لتأديب المتوثبين . وفي النصف الثاني من القرن الثالث ظهرت بوادر الضعف في العباسيين وصار المتغلبة من اولئك العمال ينزعون الى الاستبداد في الامر وكان اولهم عامل مصر احمد بن طولون فقد نزع ربقة الخلافة واستولى على الشام فأخذ حماة فيما اخذه وعقبه ابنه خمارويه وحفيده جيش . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة بقيادة صاحب الشامة وخربوا حماة والمعرة وسلمية وقتلوا اهلها حتى النساء والاطفال فجاءهم في السنة التالية جيش الخليفة المكتفي من بغداد وجرت الوقعة الفاصلة في قرية تمنع (التامنعة قرب خان شيخون وشرقي طريق السيارات بين حماة وحلب) وكانت الدائرة على القرامطة . وفي اواخر القرن الثالث زالت دولة بني طولون على يد الخليفتين المعتضد والمكتفي اللذين لم يتوانيا عن القضاء على كل خارجي فظهرت بعدها دولة الاخشيد محمد بن طغج في مصر والشام ورأت البلاد ما رأته من اقتتاله مع عامل الخليفة ابن رائق ومع سيف الدولة بن حمدان وبعد زوال الاخشيديين في منتصف القرن الرابع دخلت حماة في حوزة سيف الدولة بن حمدان واعقابه من بعده وتبعت حلب . وجاء الفاطميون اذ ذاك ينازعون العباسيين

الخلافة ورأت البلاد البلاء العميم من دوام الحروب بين الحمدانيين ثم المرداسيين وغيرهم من عمال العباسيين وبين جيوش الفاطميين • وكان الروم ينتهزون فرصة تطاحن المسلمين بعضهم مع بعض فيغيرون من حين الى آخر على شمالي الشام ويصلون الى حماة وحمص وما حولها فيعيثون وينهبون ويسبون ويعودون •

ولما زالت امارة الحمدانيين في اوئل القرن الخامس وتقسمت القبائل العربية بلاد الشام تبعت حماة صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب فبقيت في يده وبد اعقابه الى ان زالوا وفي العقد الثالث من ذلك القرن تبعت حمص في عهد بعض عمالها ممن كانوا يخطبون للفاطميين وفي آخر القرن الخامس جاء السلجوقيون فاقطعها السلطان ملكشاه لعامله في حلب قسيم الدولة آق سنقر وهو ابو عماد الدين زنكي فتبعت حلب • وفي غرة القرن السادس ألحقت بحمص في عهد عاملها قيرجة خان بن قراجة السلجوقي ثم ضمت الى دمشق في عهد الاتابك طغتكين واعقابه من بعده ثم عادت الى حلب في عهد عماد الدين زنكي الذي استخلصها من الاتابكيين واورثها ابنه نور الدين محموداً ومن هذا الى ابنه الملك الصالح اسماعيل • وخربت حماة في هذا القرن بالزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٣ فرممها نور الدين وبنى اسوارها وقلعتها وبنى فيها الجامع والمستشفى المعروفين باسمه • وفي العقد الأخير من القرن السادس استخلص صلاح الدين الايوبي حماة فولى عليها خاله شهاب الدين الحارمي وبعد موته اقطعهــا لابن اخيه تقي الدين عمر فتملكها هذا واعقابه المعروفون بالبيت التقوي خلال ١٦٨ سنة وانتهى ملكهم بخلع الملك الافضل بن الملك المؤيد ابي الفداء• ولم يكن لابناء البيت التقوي من الملكيـة الا الاسم والابهة وكانوا فعلاً تحت إمرة ابناء عمهم صلاح الدين والسلاطين المماليك الذين خلفوهم • على ان حماة نالت في عهدهم حظاً موفوراً من العمران وبعد زوال دولتهم ومجيء هولاكو في القرن السابع وتيمورلنك في اوائل القرن التاسع وتخريبهما قلعتها واسوارها ونيلها منها — انحطشأن حماة وتضاءل عمرانها وظلت في عهد المماليك يديرها عمالهم فتسعد وتشقى تبعاً لصلاح هؤلاء او فسادهم • وفي القرن العاشر دخلت في ملك العثمانيين وصار يتولاها المتسلمون والباشاشات الذين يوظفهم ولاة طرابلس او دمشق حسبما تكون حماة مرتبطة بهذه اوتلك فنالها في العهد العثماني مانال القطر الشامي كله من الاهمال

وسوء التدبير الى ان حسنت الحالة في الجملة في اواخر القرن الماضي فجعلت حماة متصرفية ألحقت بها اذ ذاك أقضية حمص وجبل الكلبية ثم تبعتها سلية في مطلع القرن الحالي ٠

ومما يستحق الذكر ان الصليبيين حاولوا الاستيلاء على حماة مرتين ففشلوا بعد ان كاد الأمر يتم لهم ٠ الأولى في سنة ٥١١ في عهد واليها شهاب الدين محمود فانهم انتهزوا فرصة خسوف القمر فوصلوا الى ارباض حماة وحاصروها والثانية في سنة ٥٧٢ انتهزوا فرصة غياب صلاح الدين في مصر ومرض عاملها خاله شهاب الدين الحارمي فحاصروها ، لكنهم في المرتين اجبروا على الرجوع ٠ على انهم عند ضعف المسلمين وتنازع ملوكهم كانوا — ونخص بالذكر الداوية اي الفرسان الهيكليين المرابطين في حصن الاكراد — لا يتوانون عن الاغارة على حماه فينالون من ضواحيها ويفرمون احياناً ملوكها وعمالها بمبالغ طائلة ويرجعون ٠

هذا وقد حاولت ان اجد وصف حماة في القرون الماضية لانظر كيف كان عمرانها في ادوار متعاقبة فلم اعثر على اقدم من وصف القرن الثالث أنقله عن ياقوت ٠ قال : وذكر احمد بن الطيب فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في مسيره مع المعتضد من بغداد الى الطواحين (؟) فقال بعد ذكره حمص « وحماة قرية عليها سور حجارة وفيها بناء بالحجارة واسع والعاصي يجري امامها ويسقي بساتينها وبدير نواعيرها » وكان قوله هذا في سنة ٢٧١ فسماها قرية اه ٠ قال احمد الصابوني الحموي في كتابه تاريخ حماة المطبوع في سنة ١٣٣٢ : ماخلاصته ان احمد بن الطيب سمى حماة قرية وليست هي قرية كما قال ولكن من يشاهد بغداد في زمن المعتضد لا يستغرب منه تسميته حماة قرية لأن العباسيين لما اخذوا الخلافة لم يكن لهم عناية الا باعمار بغداد والعراق فاهملوا شأن البلاد الشامية ومنها حماة ولتوالي هذا الاهمال والفتن خربت الكور والقرى التي كانت حماة تستقي منها موارد ثروتها مثل كورة البلعاس والاندرين ولطمين وصوران وبعرين وغيرها حتى صارت حماة تسمى قرية في نظر احمد بن الطيب اه ٠ وقال الاصطخري في اواسط القرن الرابع مايدل على صغر حماه إذ ذاك ومضارعتها شيزر : واما شيزر وحماة فانهما مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع ٠

ومر ابن جبير في القرن السادس بعد ان مضى على الزلزلة سنة ٥٥٢ التي خربت حماة

بالمرة نحو ربع قرن ، وكانت نشطت من عثرتها بفضل الدولتين النورية والصلاحية لكنها لم ترق كثيراً عيني ذلك الاندلسي المبتهجة بمرأى غرناطة وقرطبة والحمراء فلم تعجبه أفنيتها الضيقة ومبانيها المزدحمة ولم ينشرح الا لحسن العاصي وجمال البساتين . وهاك ماقاله : « حماة مدينة شهيرة في البلدان قديمة الصحبة للزمان غير فسيحة الفناء ولا رائقة البناء ، أقطارها مضمومة وديارها مركومة ، لا يهش البصر اليها عند الاطلال عليها ، كأنها تكن بهجتها وتخفيها فتجد حسنها كامناً فيها ، حتى اذا جست خلالها ونقرت ظلالها أبصرت بشرقيها نهراً كبيراً تتسع في تدفقه أساليبه ، وتتناظر بشطيه دواليبه ، قد انتظمت طرفيه بساتين تتهدل أغصانها عليه ، وتلوح خضرتها عذاراً بصفحتيه ، ينسرب في ظلالها ، وينساب على سمت اعتدالها ، وباحد شطيه المتصل بربضها مطاهر منتظمة بيوتاً عدة يخترق الماء من احد دواليبه جميع نواحيها فلا يجد المغتسل اثر اذى فيها ، وعلى شطه الثاني المتصل بالمدينة السفلى جامع صغير قد فتح جداره الشرقي عليه طيقاناً تجتلي منها منظراً ترتاح النفس اليه وتتقيد الأبصار لديه وبازاء مر النهر بجوفي المدينة قلعة حلبية الوضع وان كانت دونها في الحصانة والمنع مسرّب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها فلاتخاف الصدى ولاتهيب مرام العدى . وموضع هذه المدينة في وهدة[1] من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق يرتفع لها جانبان أحدهما كالجبل المطل[2] والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى نحتها الزمان وحصل لها بحصانتها من كل عدو الأمان والمدينة السفلى[3] تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب النهر عليه وكلتا المدينتين صغيرتان وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العالي الجبلي ويطيف بها وبالمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب لان جانبها المتصل بالنهر لايحتاج الى سور وعلى النهر جسر كبير[4] معقود بصم الحجارة يتصل من المدينة السفلى الى ربضها[5] وربضها كبير فيه خانات والديار وله حوانيت يستعجل فيها المسافر حاجته الى ان يفرغ لدخول المدينة وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات اه .

ولم ينبه ذكر حماة بعد خموله وتسعد الا في عهد أبنائه تقي الدين عمر بن ايوب

فانهم لما آل اليهم ملك حماة وضواحيها عمروها بالأبنية الفخمة والقصور الفخمة والأسواق الحافلة والأسوار المحكمة يدلنا على ذلك ماذكره ياقوت في أوائل القرن السابع قال : حماة مدينة كبيرة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضر كبير جداً فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير تستقي الماء من العاصي فتسقي بساتينها وتصب الى بركة جامعها ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لانه منحط عن المدينة ويسمون السور السوق الاعلى . وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وإتقان عمارتها وحفر خنادقها نحو مائة ذراع واكثر وهي مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤالقيس في شعره (أوردناه في بحث شيزر) الا انها لم تكن قديماً مثل ما هي اليوم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص اه . ويدلنا على تلك العناية ايضاً ماذكره ابن بطوطة في القرن الثامن :-حماة احدى أمهات الشام الرفيعة ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنات ويشقها العاصي ولها ربض يسمى بالمنصورية أعظم من المدينة فيه الاسواق الحافلة والحمامات الحسان . وبحماة الفواكه الكثيرة منها المشمش اللوزي الشهير اه .

وقد فسر الصابوني في تاريخ حماة ماذكره ابن جبير وياقوت فقال : كانت حماة قسمين قسم في محلة باب الجسر وقسم في المدينة وبالنظر لارتفاع المدينة عن باب الجسر كانت تسمى القسم الاعلى وسوقها السوق الأعلى وكذا جامعها كان يسمى الجامع الأعلى وكانت مسورة بسور من الحجر الابيض عظيم يمتد الى تل العريضة وله أبواب عديدة منها باب النصر وباب المغار وباب النهر وباب العميان وباب الغربي وباب القبلي . وكان لمحلة باب الجسر سور يحيط بها من جهة والعاصي يحيط بها من الجهة الاخرى وعلى العاصي الجسر الكبير له باب من جهة الشمال الغربي وباب آخر في مبدإه من جهة القبلة ولسورها أبواب منها باب تدمر وباب النقفي وباب حمص . وقال شرحاً لما ذكره جبير وأشرنا اليه برقم (١) الوهدة المكان المنخفض فان حماة في واد عميق كانت أرضه مساوية لارض النهر ولكثرة الزلازل وتراكم التراب ارتفعت الارض عن النهر . وعن الرقم (٢) انه تل العريضة . و (٣) محلة باب الجسر و(٤) جسر محلة باب الجسر و (٥) كان في محلة الدهشة في بستان يسمى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاتون حوانيت وخانات ينزل فيها المسافر اذا جاء ليلاً وأبواب السور مغلقة ويسمى مثل هذا ربضاً . وكان بنيان محلة المدينة أوسع وأسواقها أحفل من أسواق محلة باب الجسر وكان بين القسمين طريق مما وراء القلعة من البستان الذي يسمى الآن بستان الخضر . ثم امتد العمران لجهة الحاضر فحدثت محلات عديدة كما امتد البنيان في زمن نورالدين الشهيد حتى باب حمص جانب رحى المسرودة . اما مكان السوق فقد كان مرتفعاً من الشمال ومنخفضاً في الجنوب وكان فيه مقابر واذا طغى العاصي فاض على هذا القسم المنخفض وملأه . فلما ضاقت البلد بالسكان مشى الناس بالبنيان الى موضع السوق فبنوا البيوت والحوانيت ولما ولي الملك المنصور حماة بنى هذا السوق وكان يعرف بسوق المنصورية .

قلت وكان ينتظر من الملك المؤيد ابي الفداء ان يصف لنا عاصمة ملكه حماة في كتابه « تقويم البلدان » وصفاً كافياً يعلمنا به على الرقي والعمران اللذين نالتها في عهده وعهد اجداده التقويين الايوبيين في القرنين السابع والثامن ولكنه رحمه الله لم يشذ عن الايجاز الذي سار عليه في وصف بقية البلدان فاكتفى بقوله : حماة من الشام بين حمص وقنسرين وحماة مدينة أزلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشماليها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الأرحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسقي أكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها قال الهروي في كتابه المعروف بالزيادات : وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مختصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام اه .

وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : حماة حماها الله بها سلطان ملك (لعله يعني الملك المؤيد ابا الفداء) ونائب مستقل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والأرزاق يحوطها النهر العاصي ويأتيها جارياً من بين جانبيها ويجمع بين الجانبين قنطرة وعلى العاصي نواعير كبيرة التي لم ير في الآفاق مثلهن يحملن من العاصي أنهاراً من الماء يسقون به البساتين والاماكن وهي كثيرة الثمار وبها المشمش الكافوري اللوزي الذي لم ير في سائر الآفاق مثله ومن اعمالها الكبار بعرين وتسمى بارين وهي قلعة منيعة وسلمية وهي على سيف البرية (بناها عبدالله بن صالح وعلي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم) ولها قناة كبيرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحمل من سلمية الى حماة تسقي بساتينها واراضيهـا وهو نهر مليح · وقال ايضاً عن حماة في فصل اعياد النصارى ومواسمهم : وفي عيـد الفصح تبطل اهل حماة مدة ستة ايام اولها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلاث ثالث الفصح وتنتقش فيه النساء وتلبس فيه الكساوي الفاخرة ويصبغون فيه البيض ويعملون الأقراص والكعك ، المسلمون أكثر من النصارى · ويرد الى حماة اهل سائر البلاد المجاور: لها مثل حمص وشيزر وسلمية وكفرطاب وابو قبيس ومصياف والمعرة وتيزين والبـاب وبزاعة والفوعة وحلب ويطلعون جميعاً الى العاصي ويضرب لهم اهل حماة على شطوطه خياماً ويركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تنتهك الخلائق ويمضي لهم ستة ايام لا يرى في الوجود مثلها وكذلك يبطلون اول يوم صوم النصارى ويقولون قد طلعوا يلتقون الراهب ويبطلون ايضاً يوم نزول الشمس برج الحمل ولم أر هذا في مدينة غيرها · وفي ليلة عيد الميلاد يوقد اهل حماة كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيرهم وجندهم واميرهم من القنـاديل فوق الاسطحة ومن القنب والشيح شيئاً عظيماً ويوقدون من البارود والنفط انواعاً شتى وكذلك في عيد الختان ويسمونه الميلادة الصغيرة وربما يوقدون فيها أكثر من الكبيرة اهـ ·

قلت وقناة سلمية التي ذكرها شيخ الربوة كانت تصل الى حماة وتسقي الارض الفسيحة العذبة الممتدة في شماليها وقد درست وتنوسي خبرها · اما الزوارق فقد بقي منها اثر ضئيل كان قاصدو النزهة من الحمويين يركبونها من جسر المراكب الذي صار يدعى جسر السرايا حيث العـاصي زائد العمق في الجملة ويذهبون الى مكان في شرقي البلد: يدعى البشريات فيـه ناعورتان كبيرتان تسقي البساتين نسبةً الى دفين بجانبها يسمى الشيخ بشر · ولم يبق في حماة من الفواكه التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الربوة الا النـادر وفقد منها المشمش اللوزي الذي ما زال موجوداً في دمشق والقطر المصري ومعروفاً بالحموي وليس في بساتين حماه وازوارها الا الزروع المسقوية من الحبوب والبقول الواسعة الغلال وقليل من الاشجار غير المطعمة وما ذلك الا من اهمال سراة حماه ملاكي هذه البساتين وانصرافهم لزيادة عدد ما يقتنونه من القرى العذبة دون العناية باتقان العمل ·

وفي القرن التاسع في دولة المماليك وفي القرن العاشر في زمن عثمانيين كسدت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لضاعة العلوم الدنيوية فلم ينشأ احد من الرحالين أو الجغرافيين ينبئنا عما كان عليه اذ ذاك عمران حماة وغيرها من مدن الشام مما تقدم معنا ذكره أو تأخر ، أو انه نشأ ولم نعثر على ما كتبوه . وكذلك لم ينشأ في القرن الحادي عشر سوى سائحنا أوليا چلبي الذي وصف حماة على قدر ماوعاه فهمه . على ان المعروف من التواريخ ان حماة بعد زوال دولة الايوبيين التقويين والخراب الذي أصابها من هولاكو وتيمورلنك واستمرار فوضى الأحكام في عهد المماليك ودثور سلمية وغيرها من القرى الشرقية التي لا حياة لحماة الا بها وفصل المعرة عنها أفل نجم حظها ، وفي عهد العثمانيين دام هذا الأفول لتوالي جور المتسلمين الذين كان يرسلهم الولاة من طرابلس أو دمشق وفتن الأجناد وعسفهم حتى هاجر كثير من الحمويين على مارواه المحبي الى بقية مدن الشام الا أكثر اطمئنانا فخلت حماة من رجالها وانحط شأنها كثيراً . وفي القرن الماضي ولاسيما في عهده الأخير دأبت الأسر الكبيرة التي أوجدتها أحداث ذلك العهد على استصفاء العقارات في المدينة والمودرعات في القرى بشتى الوسائل حتى لم يبق منها لاسيما في البرية من الاراضين المملوكة لاهلها الا ما ندر . وأصبح الحمويون من جراء ذلك فريقين متباينين ، العظامي الذي يسير نخوراً لسعة املاكه ووفرة أرزاقه تدر عليه وهو مستريح ريعاً ينفقه في نعمه ورفهه ، والعصامي وهم السوقة والفلاحون الذين يكدون مدى العمر للحصول على كفاف العيش والأجور التي حقت عليهم لأولئك العظاميين . والشحناء من جراء هذا التباين مستحكمة الحلقات بين هذين الفريقين .

ومنذ نصف قرن توافد رحالة الافرنج على حماه فأعجبهم جمالها الطبيعي ومنظرها الأثري واستغربوا انسياب عاصيها وشدو نواعيرها وأزياء أهلها وأطوارهم فكتب بعضهم ومنهم ايزابر وشوقة في سنة ١٨٨٢ وفان برشم في سنة ١٨٩٨ وموريس باريس في سنة ١٩١٤ ومونمارشة سنة ١٩٣٢ ما أوحته اليه قريحته الغريبة . وخلاصة ما كتبوه بمايكادون يتفقون فيه أن حماه اختبأت في منخفض العاصي ومنعرجاته لا يتميزها القادم من بعيد الا من قرونها وانها احتفنت العاصي بجسورها وأغمست فيه دورها وقصورها وأطنبوا بنضرة رياضها وزهو أشجارها وأزهارها وروعة عاصيها وانسيابه الهادئ ووصفوا نواعيرها معجبين بشكلها وعظمتها ودورانها وشدوها المطرب وصعوبة اعتياد الغريب له في لياليه الاولى وانتثار الماء منهن

وانصبابه في القناطر الممتدة الى الأحياء والبساتين وتمثلوا العصور الوسطى عند رؤيتهم مباني حماه الأثرية المركومة التي لم يخالطها حتى الآن بناء حديث وأسواقها المعقودة ودكاكينها المزدحمة بالقرويين والبدو وعند نظرهم الى أطوار سكان حماه وأزيائهم المتنوعة الألوان والأشكال وشكوا فقدان الفنادق والمطاعم وحرمان أسباب الرفه الجالبة للسياح وان حماه بلدة منكمشة ، بعيدة عن الاتصال بحضارة الغرب ، قليلة الترحاب بالأجانب وأهلها متعصبون والحياة الاجتماعية فيها لاسيما عند أسرها الكبيرة التي بيدها الملك كله تذكر عهد الإقطاع وان من المباني الأثرية التي تستحق الزيارة في حماه قصور بني العظم وبني الكيلاني والجامع الكبير والجامع النوري وجامع الحيات والقلعة ... الخ .

ومما قاله احدهم وهو مونمارشة صاحب « الدليل الازرق » : وحماه مثل أكثر مدن الشام لا يحتاج المتجول فيها ركوب المركبة لضياع الوقت يكاد لا يذكر ناهيك ان الماشي يتلى أكثر بمشاهدة الطرق . فالأحياء المبنية في ضفة العاصي اليسرى أكثر امتداداً واستمتاعاً منها في ضفته اليمنى . واذا غادر السائح جسر السراي يسير شمالاً في شارع عريض بوازي العاصي (يعني شارع ابي الفداء) فيمر من تحت قناة ناعورة كبيرة ثم يصل الى القصر العربي الفخم الذي بناه اسعد باشا العظم حاكم حماه في سنة ١٧٤٢ م وقد اتخذ الآن مدرسة اهلية دعيت دار التعليم والتربية . وهذا القصر اصغر واقل بهاء من قصر بيت العظم في دمشق ، له فناآن احدهما علوي والثاني سفلي ، وفي العلوي قاعة ذات قباب امامها صف من الاعمدة ، ونجارة الخشب فيها ودهانه ووشيه من طراز القرن الثامن عشر وفي جنب القاعة غرفة فيها رسوم جميلة احدها يمثل مدينة حلب بمنظرها العام . واجمل ما في هذا القصر موقعه ، فان الواقف في فنائه العلوي يشرف على مشاهد جميلة في ضفتي العاصي وعلى احياء حماه التي في ضفته اليمنى (يعني الحاضر) . وبعد الخروج من القصر يسير السائح شمالاً فيمر من قرب ناعورتين عظيمتين جداً ثم من تحت ساباط الى ان يصل الى جسر على العاصي في قربه ثلاث نواعير ، ويشاهد على ضفة العاصي اليمنى قصراً ذا قبة لآل الكيلاني ذوي الوجاهة في حماه والواقف على هذا الجسر تقر عينه بمناظر الحدائق الجميلة وصوت النواعير المطرب وثمة في الضفة اليسرى حمام عربي قديم واذا

رجع السائح في الطريق الصاعدة من الجسر يزور الجامع النوري (وبعد ان وصف هذا الجامع قال) ثم يصل الى التل الذي كانت تعلوه القلعة المندرسة والواقف في ذروة هذا التل يتمتع بمشاهدة حماة كلها وفي جنوبي هـذا التل جامع صغير له قبة مفلطة تدعى قبة الحسنين (فيها مقام يقال انه موضع رأس الحسين حينما مروا به من كربلاء الى دمشق) وفي الجامع كتابة تذكر ان نور الدين محمود جدده بعد فنائه عقيب الزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ١١٥٧ م ٠ ثم يصل الى الجامع الكبير (وبعد ان وصف هـذا الجامع وضريح الملك المظفر قال : واذا استأنف السائح السير في ذلك الطريق وعرج نحو اليمين يواجه العاصي ويرى ناعورة المحمدية الكبرى (في باب النهر) المبنية في القرن الرابع عشر وهي تسقي الجامع الكبير ٠ فاذا اجتاز الجسر (يعني جسر باب الجسر) وطيه طاحونة قديمة يلاقي وسط الحدائق جامع الحيات (وبعد ان وصف هذا الجامع وضريح ابي الفداء قال : وبناء هذا الجامع خال من الاتقان الصناعي لكن منظره من الجسر المجاور له وخياله المنعكس على مياه العاصي الذي تحيط به الحدائق يجعل له منظراً من أروع مناظر حماة ٠ ويعود السائح من جامع الحيات الى المدينة بعد ان يمر من سفح تل القلعة ويجتاز ساحة خالية وسيعة تمتد امامه (كان تقام في هذه الساحة سوق عامة كل يوم خميس وقد شادوا حديثاً في وسطها بناء جميل لمدرسة التجهيز الاميرية) ثم ينفذ الى اسواق حماة التي لاتختلف كثيراً بحركتها وجلبتها عن اسواق دمشق وحماة وتفوق تلك بأنها لا تزال محتفظة بوضعها وبنائها الاثريين اهـ ٠

« للبحث صلة » وصفي زكريا

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٥ —

حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري : شيخ كان من اهل خامية من اعمال النهروان قد اقام ببغداد سنين . و كان مشهوراً بصحبة ابي عبد الله بن ابي عوف قال : كنت الزم ابن ابي عوف سنين لجوار بيننا ومودّة لا اسأله حاجة ؛ لأنها لم تكن تعرض لي و كنت اتخفف بين يديه في حوائج ينفذني فيها . و كان رسمي في كل ليلة أجيئه بعد العتمة وقد صلى ودخل منزله فحين يراني يمد رجله في حجري فأغمزها وأحادثه فيسألني عن الاخبـار والحوادث ببغداد . و كنت اسأل عنها واطلبها من كل موضع واجيئه بهـا واخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات ومن ولد ومن خاصم ومن ورث ومن يرجف به الناس واخبار الجيران وبكل غث وسمين الى ان ينعس فاذا نعس قبض رجله فقمت الى بيتي وقد مضى ثلث الليل او بعضه او أقل(١) على هذا سنين . فلما كان ذات يوم جاءني سعطي كان يعاملني فقال قد دفعت الي شيء إن تم عليّ افتقرت فقلت ماهو ؟

(١) قد سقط : وجرى الأمر.

فقال رجل كنت ادامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهنني عقد جوهر قُوّم بالف دينار الى ان يفتكه بعد شهور أو أبيعه · وأذن لي في ذلك فلما كان امس وجه (موءنس الفحل صاحب الشرطة) من كبس دكاني وفتح صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل · فقلت له لا تفكر في هذا فاني اخاطب (ابا عبد الله بن ابي عوف) فيلزمه ردّه صاغراً · قال وانا مدلّ بابن ابي عوف لمكاني منه · ومكنته من المعتضد · فلما كان تلك الليلة جئته فدّ رجله في حجري على الرسم · وحادثته وعرفته الأخبار وقلت له في جملتها أمر السقطي مع موءنس ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجب الناس حقاً عليّ ولا بد والله من تفضلك ياسيدي واعتنام(١) في امره والزام موءنس رد العقد · فقال ما انا وهذا ؟ أعادي صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف استجرأت أن تعرّضني لمثل هذا وتسألني فيه ؟ كأني بك وقد قلت ابن ابي عوف صديقي الزمه رد هذا · ولم تشفق على جاهي وكأنّ صلاح حال السقطي أحب اليك من صيانة جاهي ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد عليّ من هذا اعظم مورد · وقلت في نفسي : هذا الرجل قد خدمته كذا وكذا سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد على(٢) ما سألته قط حاجة ولا احتجت اليه في شيءٌ ولا له عليّ رزق ولا إفضال يلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل هذا · شهد الله لا دخلت له داراً بعدها ابداً · وامسكت وجلست لا اتكلم ثم قمت قبل الوقت الذي كنت اقوم فيه · وعدت الى منزلي منكسراً

(١) لعله : واعتنائك · (٢) قد سقط : اني ·

مغموماً . فلما كان من الغد بكرت لئلا يجيئني الرجل بسبب حاجته فافتضح عنده . ولم ادخل بيتي الى وقت المغرب ثم جئت فصليت وطرحت (١) واعتقدت انني لا امضي اليه . فلما صليت العتمة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ يقرأ عليك السلام ويقول لِمَ تأخرت الليلة ؟ إن كنت معافى فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت امضي الليلة ثم انقطع . فحين دخلت اليه ورآني مدّ رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش عندك من الأخبار ؟ فاقبلت أحدثه بحديث غثّ متكلّف متصنع . فلم يزل بصبر على ذلك ساعة ثم قبض رجله فقمت فقال يابابكر انظر ايش تحت المصلى واذا برقعة في قرطاس فأخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها « يا موٌنس جسرت على قصد دكان رجل تاجر يُعرف بفلان وفتحت صندوقه واخذت منه عقد جوهر قيمته الف دينار وانا في الدنيا ؟ والله لولا انها اول غلطة غلطتها ما جرى في ذلك مناظرة . اركب بنفسك الى دكان الرجل حتى تردّ العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » فقلت لأبي عبد الله ايش هذا يا سيدي ؟ فقال خطّ المعتضد الى موٌنس بما أردته : مثلت بين وجدك وعتبك معوزن(٢) الحال مع موٌنس كما هي — وبين رضاك وقضاء حقك وايحاش موٌنس فاخترتك عليه فأخذت خط امير الموٌمنين بما تراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما امره به . فقبلت رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا اعقل . وجئت الى الرجل واخذت بيده ومضينا

(١) يريد : طرحت نفسي على سرير . (٢) لعله : بقاء .

الى مؤنس وسلمت التوقيع اليه . فحين قرأه اسودّ وجهه وارتعد حتى سقطت الرقعة من يده ثم قال « يا هذا الله بيني وبينك . هذا شيء ما علمت به وتموّه عليّ فألاّ تظلمتم اليّ فان لم أنصفكم فالى الوزير . ما هذا ؟ بلأختم الامر الى امير المؤمنين من اول وهلة » قال وانتشطت (١) فقلت « بعملك جرى والعقد معك» قال : فأحضر العقد وقال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل بطلان ما ادعاه : فقلت لا نفعل . فقال خذوا ألف وخمس مائة دينار . فقلت والله لو اعطيتنا الف الف دينار ما رضينا او تركب بنفسك الى الدكان والعقد معك فترده الى الصندوق ولا نكذب انفسنا او ترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبه حتى وقف على دكان الرجل ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع ألف الدينار وارتجعه .

***

حدثني عبد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال حدثني بمصر ابو طاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر القاضي وهو قاضيها يومئذ قال حدثني شيخ كان في جوارنا ببغداد بدرب الرواسين من باب الشام قال كان ابو عبد الله بن ابي داود (٢) ينزل بباب الشام وهو صغير الحال فكنا نعرف احواله فباع يوماً منديلاً كان له بسبعة دراهم لتعذر القوت عليه قال فاجتاز في طريقه وهو عطشان فرأى شارباً فعدل الى

(١) لعله : واستشطت أو ونشطت . (٢) الصواب : دؤاد .

الموضع ودعاه واستسقاه فكسر الشارب شفة كوز كان معه وملأه ودفعه اليه فقال له ابن ابي داود (١) لم فعلت ذلك فقال قد شرب في هذا الموضع قبلك من لم ارض لك ان تجعل شفتك في موضع شفته فكسرت الموضع من الكوز لتشرب من موضع ماوقعت عليه شفة غير شفتك قال فشرب الماء ثم دفع اليه السبعة دراهم التي لم يكن يملك غيرها ٠

* * *

حدثني ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال كانت امي قد رأت ليلة القدر فدعت الله بدعاء كثير فلما كان من الغد قال لها ابي هل دعوت الله لي فقالت شغلني الدعاء لاولادك عن الدعاء لك قال فكنا نرى ان ما أفاء الله تعالى علينا من نعمة بعد ذلك انما كان بدعائها ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

حدثني ابو الفضل الشيرازي الكاتب محمد بن عبيد الله بن المرزبان قال حدثني شيخ من شيوخ النخاسين الجلة ببغداد قال كنت أعامل اباالهيجاء عبد الله بن حمدان في الرقيق فكان يشتري مني ولا يبيع شيئاً يشتريه بوجه إما ان يهبه او يعتقه فجاءني يوماً الى حجرتي ولم تكن عادته جرت بذلك فوجدته وهو مستعجل يريد الخروج الى القصر لقتال أعراب بلغه انهم عاثوا في الطريق وكان يليه فقال بعني الساعة جارية فعرضت عليه عدة جوار فاختار مولدة منهن وحملها في عماريته على بغل فلما كان بعد شهور اقل من سنة جاءني بها رجل من الجند يريد بيعها فقلت لها أليس كان الأمير ابو الهيجاء اشتراك

(١) الصواب : دؤاد

مني فقالت بلى ولكني وهبني لهذا قال فلم ابعها حتى كاتبته وعرفته خبرها لئلا تكون قد هربت او وقع بها حيلة فلما اعلمني انه وهبها شرعت في بيعها في الحال فتعذر واقامت عندي اياماً فسألتها عن اخبار ابي الهيجاء وامره في داره فاخبرتني باشياء من ذلك فكان من طريف ما اخبرتني به ان قالت اخرجني من عندك في العمارية وسرنا يومنا وليلتنا الى قريب من انتصاف الليل فكدني السير واتلفني ثم حط العمارية في الصحراء ثم ضربت له خيم لاصحابه فصرنا في عسكر واشعلت النيران ونصب له سرير مخلع(١) في خيمة له واستدعاني فجثت وهو على فراشه فلاعبني ثم نزع ... وجلس مني مجلس الرجل ... فوقعت صيحة عظيمة فنهض عني ولم يكن ... وضرب يده الى تحت الفراش واذا سيف مجرد فاخذه وخرج بلا سراويل وصاح انا ابو الهيجاء وسألهم عن سبب الصيحة فقالوا سبع أطاف بالخيم فخرج يعدو ومعه خلق من غلمانه واصحابه وأهاجوا السبع وطلبوه وناصبوه الحرب وناصبهم وانا اسمع الصياح وزئير الاسد وقد تلفت فزعاً ثم يأتيه هو من بين الجماعة فقتله فحمل رأسه وجاءني وهو في يده فلما رأيته صحت فرمى بالرأس وغسل يده ثم جاءني فطرحني واذا ... قائم كما كان في وقت نهوضه ما تغير ثم ... ثم نهضت فما رأيت قلباً أثبت من قلبه ...

***

حدثني عبدالله بن احمد بن داسه قال حدثني ابوسهل بن زياد العطار قال

(١) كذا بالاصل ولعل معناه وثير .

كان باسكاف(١) شاعر به (٢) طريفة فهجا عاملها وبلغه ذلك فامسك عنه فلما كان وقت الغلة ركب العامل الى البيدر وقسمه وحمل غلة الشاعر اصلاً فجاء الشاعر اليه يشكو ويداريه فقال ياهذا ليست بيننا معاملة انت هجوتنا بالشعر ونحن هجوناك بالشعير وقد استوت الحال بيننا وبينك ٠

* * *

حدثني محمد بن عيسى بن حر وجماعة من البصريين قالوا لما نشأ لأبي الحسين محمد بن عبيد بن نصرويه مع فضله ورُجْلته (رجوليته) ومحلّه المشهور من الدهاء والنيل(٣) والعلم والعقل — ابنه الباقي الآن وأُخبر ابو الحسين رحمه الله بتأخره غمه ذلك قال وكان ابو الحسين يوماً جالساً اذ جاء ابنه هذا يسعى اليه كأنه في معم ثم نتف طاقة شعر كانت على اذن ابي الحسين وسعى فآلمه ذلك وغمه بلوغ تخلف الصبي الى هذا الحد ورثينا لما جرى قال لنا خلف النار الرماد٠

* * *

وحدثني ابو الحسين بن محمد الجبائي قال لما سعى ابو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة علي ابي الحسين بن نصرويه حتى نكب النكبة الثانية التي ألزمه فيها الوزير العباس بن الحسين ماألزمه من المال راسل اباطاهر فقال له اعلم ان الصياد الفاره لايذبح شباشه(٤) وانا كنت لك في هذا البلد مع التجار

(١) مكان في نواحي النهروان ٠ (٢) لعله محرف عن مثل به دعابة ظريفة ٠

(٣) يريد الاغتيال كما تدل عليه الحكاية الآتية ٠ (٤) أظن هذه الكلمة عبرانية معناها المفرد ٠ قد وصفه الدكتور خليل سعادة في قاموسه ببطة أليفة توضع في المعابر الموصلة الى بركة لاستخراج البط البري ووقوعه في الشرك ٠

والناس مثل شباش الصياد فما انما ظن الناس انك عادلاً(١) وكنت تأخذ من تريد من الأوساط والأصاغر ولا ينكشف امرك وقدصرت بماعاملتني مثل الصياد الذي ذبح شباشه فليس عزمه بعدها ان يصطاد وستعلم انك لا تنتفع بنفسك ولا بالبلد بعدي ثم عدل الى السعاية عليه مع ابي الفضل العباس ابن الحسين الوزير فما خرج من البصرة حتى قبض(٢) ونكبه وقلد البصرة اباالقاسم علي بن الحسين بن ابراهيم بن أُخت ابي الفرج محمد بن العباس ابن فسانجس وألزم مالاً ثقيلاً لم ينهض به وتلف ابوطاهر في المطالبة والضرب ومات في الحبس وأسحق أهو واهله الى آخر دهرهم وكل ذلك تدبير ابي الحسين وترتيبه المكاره عليهم .

***

حدثني محمد بن هليل بن عبد الله قال حدثنا القاضي احمد بن سيار قال حدثني رجل من الصوفية قال كنت اصحب شيخاً من الصوفية انا وجماعة في سفر فحدثني حديث التوكل والارزاق وضعف النفس فيها وقوتها فقال ذلك الشيخ عليّ وعليّ لاذقت مأكولاً او يُبعث اليّ بجامة فالوذج حارّ ولا آكل الا بعد ان يحلف عليّ قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة : الآخر جاهل ومشا ومشينا وانتهينا الى قرية ومضى عليه يومان وليلتان لم يطعم فيهن شيئاً ففارقته الجماعة غيري فانه طرح نفسه في مسجد في القرية مستسلماً للموت ضعفاً فاقمت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقدانتصف الليل وكاد ان يتلف

(١) لعله : فانما ظن الناس انك عادل . (٢) قد سقط : عليه .

الشيخ فاذا بباب المسجد قدفتح واذا جارية سوداء ومعها طبق مغطى فلما رأتنا قالت انتم غرباء اومن أهل القرية؟ فقلنا غرباء فكشفت الطبق فاذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقالت كلوا فقلت له كل فقال لا افعل فقلت له والله لتأكلن لأبرئ قسمه فقال لا افعل قال فشالت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لاصفعنك هكذا الى ان تأكل قال فقال كل معي فأكلنا حتى نظفنا الجام وجاءت الجارية تمضي فقلنا لها مكانك خبرينا بخبرك وخبر هذا الجام فقالت نعم انا جارية رجل هو رئيس هذه القرية وهو رجل احمق حديد فطلب منا منذ ساعة فالوذجاً فقمنا لنصلحه وهو شتاء وبرد فالى ان تخرج الحوائج من البيت وتشعل النار ويعقد الفالوذج تأخر عنه فطلبه فقلنا نعم وطلبه ثانياً ولم نكن فرغنا منه وطلبه الثالثة فحرد وحلف بالطلاق لايأكله ولا احد من داره ولا احد من أهل القرية ولا أكله الا رجل غريب فحملناه في الجام وخرجنا نطلب في المساجد رجلاً غريباً فلم نجد الى ان انتهينا الى هذا المسجد فوجدنا كما ولو لم يأكله هذا الشيخ لقتلته ضرباً الى ان يأكل لئلا تطلق ستي من زوجها قال فقال الشيخ كيف ترى اذا اراد ان يرزق.

(للبحث صلة)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وافكار

—«»—

الزبور الشريف

ذكرنا في مقالنا « خزانة الكتب الخالدية » في بيت المقدس المنشورة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق [1] ان من جملة مخطوطاتها الزبور الشريف وانه منقول عن نسخة بمقام سيدنا داود عليه السلام في بيت المقدس وقد اتيح لنا اخيراً الاطلاع على النسخة الأصلية المذكورة في خزانة كتب السيد حسن صدقي الدجاني فأحببنا ان نأتي على وصفها فنقول:

كتبت هذه النسخة بخط جميل وهي بالقطع الكبير وقد جاء في آخرها مايلي بالحرف :

« قد استراح من طي تبيان زبر زبر الأولين واستباح في حمى فرهاء حبير حبر الأولين القلم الذي اقدم تاماً في كتب الكتاب المنير والمترجم من كتاب الله القدير المنزل على سيدنا داود بن ايشا بن عوبد بن باعر المنتمي نسبه الشريف الى ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله تعالى عليهم اجمعين . على يد اضعف العباد الطالب سبيل الرشاد البائس الفقير المعترف على النقصان والتقصير ملتمساً شفاعة من انزل عليه الزبور يوم يبعث من في القبور من الله العزيز الغفور الحاج محمد بن يحيى بن محمد المرعشي الملقب بشاطر زاده غفر الله له ولوالديه وجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات برحمتك ياارحم الراحمين . في اليوم الثاني من شهر رمضان المكرم لسنة احدى وخمسين ومائة والف من هجرة من له العز والشأن في المحروسة القسطنطينية دار السلطنة العليه » اه .

وقدذكرفيها نسب سيدنا داود كماياتي « هو داود عليه الصلوة والسلام ابن ايشابهمزة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فشين معجمة مقصورة ابن عوبد بعين مهملة وبعدالواو موحدة وزن جعفر ابن باعر بياء موحدة وعين مهملة مفتوحة بينهما الف وآخره راء ابن سلمون بن

---

(١) م ٤ ص ٤١٣

يخشون بن عمنيا ذاب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام • كذا في العرائس للثعلبي والذي في فتح الباري هو داود عليه السلام بن ايشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن يارب بن رام بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام ودأبه صلى الله تعالى عليه وسلم ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر اذا لاقى قال العلماء رحمهم الله تعالى لما استشهد طالوت اعطت بنو اسرائيل داود عليه السلام خزائن طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بعد قتل جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك الا داود عليه السلام • قال اهل التاريخ وكان عمره عليه السلام مائة سنة ملكه منها اربعون سنة وقيل ولي وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة قيل وبين خروج بني اسرائيل مع موسى عليه السلام من مصر وبين اول ملك داود عليه السلام ستمائة وستون سنة وحليته : كان داود عليه السلام أحمر الوجه سبط الرأس ابيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب دعاؤه الذي دعا عليه السلام به قوله : اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد • هكذا نقل من وسائل المبرات • وكتب بهامش الصحفة الاولى منها ما نصه :

« من تفسير اسماعيل حقي » — وآتينا داود زبوراً وهو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة قال القرطبي : كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل • وكان داود يبرز الى البرية ويقرأ الزبور فيقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجيء الدواب التي في الجبال اذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجبياً لما يسمعن من صوته وتجيء الطير حتى يظللن على داود في خلائق لا يحصيهن الا الله يرفرفن على رأسه وتجيء السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن • (كتبه الفقير حسن انيس الدجاني الخلوتي خادم سيدنا داود عليه صلاة الملك المعبود) •

* * *

هذا وصف مختصر للزبور الشريف الذي يسميه اليهود والنصارى بـ « المزامير » ولكن تلك المزامير لاتطابق نصوصها مافي الزبور الشريف وهذه بعض سوره •

السورة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم · يابني اسرائيل اذكروا نعمتي عليكم وعلى آبائكم الأقدمين · وحملتكم في البر والبحر · ورزقتكم من الطيبات وانا العزيز الحكيم ·

السورة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم · ياداود قل لبني اسرائيل لا تكثروا الصلوة في الثياب الحرام ولتكن ثيابكم طاهرة من حلها · ياعبدي كيف تعصيني وأنا أنزل عليك في كل يوم رزقاً جديداً ولكن غركم حلمي عنكم تعاليت وتقدست ان اقاس بالمخلوقين · يا داود قد جعلت هذه الكتب التي انزلتها على رسلي ليزجروا بها عبادي ويحذروهم ويخوفوهم ويبشروهم بما اعددت للمحسنين منهم دعوا العجلة وملاحاة الرجال تسلم اديانكم ودنياكم واعم الكم ·

السورة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم · يابني اسرائيل البسوا لكل حين لباسه وعليكم بالتقوى · واكثروا من الدعاء فاني أحب من يدعوني بنية خالصة · فاذا فعلتم ذلك كانت جنتي لكم مفتوحة · ياداود ان النساء قد ملكتم نواصيهن بالامانة فاحسنوا اليهن وادبوهن · ولا تفتروا عليهن اذا كان لكم سعة · فاني انا الله الرزاق ذو الخزائن الواسعة الخ ·

سورة من نصف الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم · يا داود قل للأفاك الكاذب الفتاك الذي يُسأل في عبادي ولم يتذكر آلائي ولم يعتبر بامثالي وأحكامي التي انزلتها على رسلي ·

وعزتي وجلالي اني عليم غير معلّم واني خبير غير مخبّر فقل لمن كان في تمرده وعصيانه الم تعلم ان بطشي شديد فبئس الورد ترد وبئس المنقلب تنقلب ·

سورة من آخر الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم · ياابن آدم أكثر من الزاد فان الطريق بعيد واجود القيام لله فأن البحر عميق وخفف الحمل فأن الصراط دقيق · واخلص العمل فان الناقد بصير وأخر نومك الى القبر وفرشك الى الميزان وشهواتك الى الجنة وراحتك الى الآخرة ولذتك

الى الحور العين و كن لي اكن لك وتقربوا الي بالاستهانة بالدنيا وتباعدوا من الدنيا لبغض الفجار وحب الابرار فان الله لا يضيع أجر المحسنين .

نسخة أخرى من الزبور

جاء في مجلة العرفان الغراء التي تصدر بصيدا « م ٨ ص ٤٩١ » ان في مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة نسخة من الزبور الذي ترجمه الامام علي بن ابي طالب – كما ذكر الفخر الرازي – منسوخة في ٦ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ بقلم عبد اللطيف بن عبد اللطيف الدوبي الزمزمي في ١٤٨ سورة و ١١٧ صفحة بقطع الثمن ومن آياته :

ياداود مر بني اسرائيل لا ينهروا المسكين ولا يضربوا اليتيم وليقوموا الى دجى الليل بقلوب خائفة واعين باكية .

استدراك على نسب أسرة الدجاني

كنت ذكرت في مقالي المشار اليه بأول الكلام (١) ان أسرة الدجاني يتصل نسبها بسيدنا داود عليه السلام وهو خطأ ساقني اليه اشتهار هذه الاسرة الكبيرة ببيت المقدس باسم « الداودي » بحكم قيامها على خدمة مقام سيدنا داود الى الآن ، لذلك رأيت ان أشير الى هذا الخطأ غير المقصود واعتذر عنه وأقول ان هذه الأسرة قد تحدرت من الشيخ الصالح الزاهد صاحب الاوقاف المشهورة احمد الدجاني دفين تربة مامن الله ببيت المقدس ومن مشاهير رجالاتها يحيى بن درويش بن سليمان بن محمد المترجم له في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي « ج ٤ ص ٢٢٨ » .

كما ان والده درويش وجده سليمان ومحمد المذكورين قد ترجم لهم المحبي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر « ج ٢ ص ١٥٦ و ج ٢ ص ٢١١ و ج ٣ ص ٣٥٦ » .

وقد نعت المحبي سليمان المذكور بالداودي المقدسي مما نستدل منه على ان نسبتهم الى الدجاني والداودي كانت جارية في الماضي كما هي جارية في الحال .

عبد الله مخلص

(١) مجلة المجمع م ٤ ص ٤١٣ .

منصور البهوتي

ترجم المحبي في خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر [١] لشيخ الحنابلة بمصر في زمانه منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن احمد بن علي بن ادريس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ ١٦٤١ م ووفاه حقه .

وقد اقتنيتُ اخيراً نسخة مخطوطة من كتاب شرح المنتهى لمنصور المذكور كُتِبَتْ حديثاً ختمها ناسخها بترجمة المؤلف نقلاً عن محمد السفاريني [٢] الذي يظهر ان المحبي نقل عنه ايضاً .

وتمتاز ترجمة السفاريني بانه استقصى فيها تاريخ مولده بعد مدة واضافه اليها وذكر بعض من أخذ عنه من العلماء الذين اغفلهم المحبي مثل محمد ابي المواهب ومحمد الخلوتي وياسين اللبدي وعبد الحق ابن عمه ويوسف الكرمي .

وشرح المنتهى هو على « منتهى الارادات » لتقي الفتوحي وللشارح حاشية عليه ايضاً . وقد طبع هذا الشرح بهامش كتاب كشاف القناع عن متن الاقناع للمؤلف نفسه في المطبعة الشرفية بمصر سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م .

والغريب ان يذكر في طرة الكتاب المطبوع ان كشاف القناع عن متن الاقناع هو لشيخ مشايخ الاسلام واوحد الكبراء الفخام صاحب الافتاء والتدريس العلامة الشيخ منصور بن ادريس الحنبلي وان شرح المنتهى هو لشيخ الاسلام وقدوة الأنام وخاتمة المحققين وبقية المدققين الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي كأنهما لمؤلفين مختلفين في حين انهما لرجل واحد هو منصور بن ادريس المذكور .

وفي نسخة مخطوطة بخزانة كتبي من الكشاف جاء اسمه في الطرة كشاف القناع

---

(١) خلاصة الأثر جزء ٤ صفحة ٤٢٦ .

(٢) هو محمد بن احمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي المترجم له في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي « ج ٤ ص ٣١ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

لشرح الاقناع بينا المؤلف يذكره في مقدمته باسم « كشاف القناع عن الاقناع » وهذه هي ترجمة السفاريني التي نقلها عنه ناسخ الكتاب :

« اقول الشيخ منصور المذكور احد اعلام علماء المذهب المتأخرين كان كثير العبادة غزير الافادة والاستفادة وصل اليه الحنابلة من الديار الشامية والنواحي النجدية والاراضي المقدسية والضواحي البعلية وتمثلوا بين يديه وضربت الابل اباطها اليه وعقدت عليه الخناصر وقال من حظي بنظره هل من مفاخر فاخذ عنه الشيخ يوسف البهوتي والشيخ عبد الرحمن البهوتي وسيدنا الشيخ محمد ابو المواهب والشيخ محمد الخلوتي والشيخ محمد المرادي[1] والشيخ ياسين اللبديـ والشيخ عبد الحق ابن عمه والشيخ يوسف الكرمي ومحمد بن ابي السرور في آخرين .

وشرح الاقناع في ثلاث مجلدات ضخام وكذلك المنتهى وشرح المفردات وزاد المستقنع وهو احسن شروحه وله حاشية على الاقناع وحاشية على المنتهى .

وكان سخياً جواداً له مكارم دارة وبشاشة سارة وكان في كل ليلة جمعة يصنع ضيافة ويجمع جماعة المقادسة[2] في داره ومن مرض منهم عاده واخذه الى داره ومرّضه احسن تمريض الى ان يشفى وكان الناس يأتون بالصدقات فيفرقها في المجلس ولا يأخذ منها شيئاً .

وكانت وفاته رضي الله عنه ضحى يوم الجمعة عاشر ربيع الثاني سنة احدى وخمسين والف بمصر المحروسة ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين .

والى الآن لم اعلم تاريخ مولده رضوان الله عليه قال الفقير الشيخ محمد السفاريني لخصت هذه الكلمات من ترجمة في تراجم متأخري الاصحاب التي جمعتها والله يختم بالصالحات والله سبحانه وتعالى اعلم .

ثم رأيت سنة ١١٥٨ ابن ام اخته الشيخ محمد الخلوتي ذكر في كتاب الحجر انه سأله عن مولده فأخبره انه سنة الف فكان عمره احدى وخمسين سنة رضي الله عنه[3] .

عبد الله مخلص

---

(١) في خلاصة الأثر المرداري . (٢) في الأصل المقاسدة وهي من غلط الناسخ .

(٣) لم يذكر المرادي في ترجمة السفاريني بمجوعه هذا المتعلق بالتراجم .

واثلة بن الأسقع

ذكر رئيسنا الأجل في مقالته « التدوين في الاسلام[1] » ان واثلة بن الاسقع احد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين سمعوا منه مات في بيت المقدس وانه كان يشهد المغازي فيمر بدمشق وحمص .

والذي في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني[2] انه آخر من مات بدمشق من الصحابة .

وذكر السائح الهروي في كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات[3] ان قبره قبلي الباب الصغير وكذلك قال ياقوت الحموي[4] :

وزاد أكمل الدين ابن مفلح الذي ملك نسخة الاشارات المخطوطة بحاشيتها ان لواثلة مسجداً بدمشق داخل باب الشاغور قرب تربة الشقباشي يعرف به .

وأكمل الدين هذا هو محمد بن ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الدمشقي المتوفى سنة ١٠١١هـ ١٦٠٣م

عبد الله مخلص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) مجلة المجمع العلمي العربي م ١٠ ص ٤١٠ .

(٢) الاصابة ج ٦ ص ٣١٠ .

(٣) من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة .

(٤) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٣ ص ٥٩٥ وطبع مصر ج ٤ ص ٧٩

نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

– ٦ –

(الرسالة الجامعة في الفلسفة) : تأليف الحكيم مسلمة بن احمد المعروف بالمجريطي القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وهي على نمط رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا . أولها : الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى الخ نسخة في ٥٠٠ صفحة متوسطة القطع بخط عبد الرزاق الحموي سنة ١٠٠١ [رقم ١٥٩ قسم التصوف] .

(مفرح النفس)[1] : تأليف شرف الدين محمد بن عمر بن ابي الفتوح البغدادي المعروف بابن المزة من أطباء القرن السابع أوله : اما بعد حمد الله تعالى خالق الداء والدواء والمنقذ من الأعراض والادواء بمفرحات النجاة والشفاء الخ . قال مؤلفه (اني لما طالعت أكثر الكتب الطبية لم اجد فيها ما يشفي القلب من ذكر الأمور المفرحة للنفس والموجبة للذاتها وراحتها وسرورها . ثم ان الشيخ الرئيس ابن سينا صنف كتاباً في الأدوية القلبية ولم يستوعب اجناسها بل اقتصر على جنس واحد منها ثم جعله حاوياً لا كثر المفرحات للنفس وجعل لكل حاسة باباً الخ) نسخة في ٦٦ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ [رقم ٣٢ قسم الطب] .

(العمل بالاسطرلاب) : تأليف علي بن عيسى (كذا) ولم يرد ذكره في كشف الظنون والذي يظهر انه لابراهيم بن حبيب الفزاري اوله : قال الشيخ الفاضل ...... وهنا كشط ظاهر وكتب مكانه علي بن عيسى بخط جديد . ثم خطبة الكتاب التي أولها الحمد لله خير ما استفتح به واستنجح ببركته وصلى الله على الصفوة من بريته وسلم وكرم وشرف وعظم الخ . وهذا الكتاب يتضمن من أبواب العمل بالاسطرلاب ما لا بد منه ولا غنى عنه وهو في تسعين باباً في ١١٤ صفحة صغيرة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الخامس مضبوط بالحركات [رقم : ١ الفلك] .

حسني الكسم

---

(١) وذكر صاحب كشف الظنون انه لمجد الدين عبد الوهاب بن احمد الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبوعات حديثة

--- (()) ---

آراء ابن خلدون الاقتصادية

Les idées économiques d'Ibn Khaldoun

« كتاب بالفرنسية في ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط تأليف السيد صبحي »
« المحمصاني الدكتور في الحقوق »

بحث عدد من المستشرقين عن ابن خلدون ومؤلفاته وفلسفته وأعجبوا بمقدمة تاريخه خاصة فترجموها الى لغاتهم او لخصوها . وألف الدكتور طه حسين كتابا بالفرنسية في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . ثم اتى اليوم الدكتور صبحي المحمصاني ، فذكر آراء فيلسوفنا الكبير في شؤون اقتصادية مهمة ، كحاجات البشر وامتلاك العقارات ، وقانون العرض والطلب والعمل ، وتوزيع الاعمال ، وتصنيف وسائل الارتزاق والكسب ، وفضائل التجارة الخارجية ، والضرائب والسكان وتأثير البيئة في إقدام الناس على العمل ، وحرية التبادل ووظيفة الدولة في الشؤون الاقتصادية ، والنقود الاسلامية وغيرها . وقد ذكر المؤلف البيئة التي عاش ابن خلدون فيها ، كما ذكر حياته ومؤلفاته ، وقواعد الاقتصاد في الاسلام ، وآراء من تقدموا ابن خلدون في الشؤون الاقتصادية كالفارابي وابن سينا والغزالي وابي الفضل الدمشقي . فجاء الكتاب مفيداً سواء لطلاب الفائدة من العرب أم للاجانب الذين يودون الوقوف على الأعمال العقلية لرجالنا الاقدمين . ومع ذلك وجدت في تضاعيف الكتاب بعض هنات لا يصح السكوت عليها كقوله في الصفحة ٥٥ ان الخراج ايام عمر (رض) كان غير عادل وهو كلام لا يصدقه احد من العلماء وكقوله في الصفحة التاسعة ان الخراج كان يبلغ ايام العباسيين ثلث الغلة الزراعية أو نصفها . فهذا القول يجب ان لا يكتفى به على

علاته لأن الخراج في الخلافات العربية القديمة ما كان يزيد على عشر المحاصيل حتى يبلغ ثلثها أو نصفها الا في حالات شاذة والشذوذ لا يقاس عليه (أنظر م ٧ ص ١٠٧ — ١٠٩ من هذه المجلة وانظر مقالنا في العدد التالي) .

وكقوله في الصفحة ٤٣ ان انشاء ابن خلدون ضعيف ومغلق اجمالاً وان جمله تكون متداعية في تركيبها احياناً وان بعض تعابيره مغلوطة الخ . فهذا القول إن كان يقصد به اللغة دل على ضعف السيد صبحي المحمصاني بها لا على ضعف ابن خلدون ، لأن كل من يتذوق جودة الإنشاء في الموضوعات المختلفة التي كتب فيها ابن خلدون يحكم بانه من أئمة الكتاب الذين لا يشق لهم غبار . اما اذا كان يقصد بهذا القول العلوم التي حوتها مقدمة ابن خلدون فان لكل من يبتكر في عصر كذلك العصر كبوات يجب على علماء اليوم ان يغتفروها .

وبعد نشكر للمؤلف الفاضل هديته الثمينة وحبذا لو ترجم كتابه الى العربية .

مصطفى الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصص جديدة للاطفال

« بابا عبد الله والدرويش . ابو صير وابو قير . علي بابا . عبد الله البري . »
« وعبد الله البحري . الملك عجيب . خسروشاه »

بقلم كامل كيلاني

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ان اشد نواحي الادب العربي فقراً ما كان منها خاصاً بالنشء الصغير . فقد يكاد يكون هذا القسم خلواً من الكتب الصالحة لاحتقار الادباء له وانصرافهم الى ماهو اسمى وادعى للشهرة . بينما الحقيقة هي ان التأليف في هذا النوع من الأدب اصعب من التأليف في غيره لما يستلزمه من لغة وأسلوب انشاء خاص وسعة معرفة في فن التربية وعلم النفس . وقد شاء الاستاذ السيد كامل الكيلاني ان يتم من هذا النقص فاخرج عدة قصص جديدة

للاطفال اطلعنا على ست منها وهي التي جعلنا اسماءها عنوان هذه الكلمة فالفيناها كاملة الصفات الصورية ولكنها تحتاج الى عناية خاصة من حيث الموضوع فهي معتدلة القد ، متقنة الطبع ، جيدة الورق ، جميلة الرسوم ، سهلة العبارة فصيحة الألفاظ مشكلة الحروف تستقيم بقراءتها لغة القارئ فتنطبع الألفاظ في ذاكرته صحيحة خلافاً للقصص والكتب المدرسية غير المشكولة فانها من عوامل افساد اللغة لأن القارئ المبتدئ يحفظ الفاظها معوجة فيتعذر عليه تقويمها في المستقبل ·

اما من حيث الموضوع فانها مقتبسة من كتاب الف ليلة وليلة ولا يخفى ما في بعض موضوعات قصص هذا الكتاب من الحوادث المخيفة القائمة على الوهم والخيال التي تلذ قراءتها للصغير ولا يحمد عقبى تأثيرها في نفسه لانها تنطبع في حافظته كأنها حقائق محسوسة وتتمثل له في احلامه وفي خلوته ، لاسيما في الظلمة فينشأ شديد الخوف والتخيل سريع الانفعال وهل من احد يجهل مضار ما كان يتلى على الصغار من قصص الجان والعفاريت وما كانوا يخوفون بلفظه كالبعبع وغيره ؟ فعسى ان يعمد المؤلف في ما يخرجه للنشء العربي من القصص المفيدة الى اختيار الموضوعات التي تتمثل فيها البطولة والشجاعة والجرأة والشهامة والكرم والاباء والفضيلة بمظاهرها الحقيقية · فانها تربي في نفسه سجايا رفيعة فيضاعف بعمله هذا خدمته للغة وبنيها ·

اسعد الحكيم

القرآن

« بالحروف اللاتينية · مكتبة حلمي في استانبول وانقرة ١٩٣٢ »

ليس بالغريب بعد ان الف الاتراك الحروف اللاتينية وهجروا الحروف العربية هجراً لم يبق من سابق صلتهم بها عيناً ولا أثراً ان يعمدوا الى القرآن فيكتبوه بالحروف اللاتينية لتتسنى لشعبهم المتدين قراءته دون ان يكون له مسوغ لتعلم الحروف العربية أو الاتصال بها ·

وقد اطلعنا على نسخة من القرآن الكريم الذي عنيت مكتبة حلمي بطبعه ونشره

بالحروف اللاتينية في السنة الحاضرة بمعرفة لجنة علمية من ذوي الكفاءة فالفيناها لاتختلف من حيث الحجم والشكل الخارجي المذهّب ورسوم السجدات والاحزاب والفواصل عن النسخ القرآنية العربية . وقد اصطلح في كتابته على جملة من الحروف المركبة والاشارات تضمن قراءته بالمخارج الصوتية العربية مع مراعاة الوقف والمد وغيره . مما يدل على ان الروح الاسلامي لم يزل يرفرف تحت سماء الحكم التركي الجديد .

اسعد الحكيم

الطب العربي وتأثيره في مدنية اوربا

« تأليف الدكتور زكي علي . طبيب بمستشفى القصر العيني »

« مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣١ »

رسالة صغيرة ضمنها المؤلف كلمة عامة في نشوء الحضارة الاسلامية ومصادر الطب العربي ، وتراجم بعض من اشتهر به كابن سينا والرازي وغيرهما . وما كان لانتقال العلوم الطبية العربية الى اوربا من التأثير في نشوء مدنيتها الحديثة . وذلك بصورة اجمالية موجزة . وقد ختم المؤلف رسالته بذكر المصادر التي استقى منها هذا الموضوع وليس فيها ذكر لأطروحة الدكتور السيد يوسف حريز « تأثير الطب العربي في نشوء الطب الفرنسي » التي اشرنا اليها في محاضرتنا « الطب عند العرب » التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها السادس ص٤٤٥ سنة ١٩٢٦ مما يدل على ان المؤلف لم يطلع عليها ولما كان في هذه الأطروحة أسانيد قيمة تدعم فكرة المؤلف رأينا من الواجب التنويه بها اتماماً للفائدة المتوخاة من هذا البحث .

اسعد الحكيم

مجموعة الرقم العربية

« طبعت باشراف أن · كومب ·وج · سوفاجه وج · فييت · الجزء الثاني »
« عدد صفحاته ٢٧٦ طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٢ »

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Publié sous la direction de M. M. Et. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet. Tome II, 276 pages. Le Caire 1932

هذه المجموعة هي من مطبوعات المعهد الافرنسي للآثار الاسلامية في القاهرة ، اشترك بجمعها نخبة من علماء المشرقيات والمحققين وقد ضم هذا الجزء ٤٠٠ كتابة رتبت بحسب قدمها وتاريخها من سنة ٢٤٣ هـ الى سنة ٢٨٥ هـ · واكثر هذه الرقم شواهد قبور وقد ترجمت جميع هذه النصوص الى الافرنسية بدون تعليق · وقد عثرت على بعض اغلاط لا ادري ان كانت في اصل المتن أو هي اخطاء طرأت على قراءتها · وعلى كل حال فقد رأيت من المفيد الاشارة اليها : فقد جاء في الشهادات الآتية :

الشاهدة رقم ٤٠٦ ص : ٥ وس : ٤ (ورحم عليه) وصوابه (وترحم عليه) كما ورد في الشاهدة رقم ٤٠٩ ·

الشاهدة رقم ٤١١ ص : ٩ وس : ٤ (المور) وصوابه (الميزان) ·

الشاهدة رقم ٤٩٣ ص : ٦٧ وس : ١ (هذا ما تشهد به لحجاجة) وصوابه (هـذا ما نشهد به لحجاجة) ·

الشاهدة رقم ٥٠٧ ص : ٧٧ وس : ١ (رم) ضبطها (رمَّ) ·

الشاهدة رقم ٦٣١ ص : ١٦٢ وس : ٤ (اخذه منها تعبا ظاهرا) وصوابه (أخذه منها تقيًا طاهراً) وفي س : ٨ (فالأ ساه) وصوابه (فالاسا)

الشاهدة رقم ٦٥٠ ص : ١٧٦ س : ٢ (وتحزم العباد بدلة الفناء) وصوابه (ويحرم العباد بذلة الفناء) ·

الشاهدة رقم ٦٥٣ ص : ١٧٨ س : ٢ (ثقل الله بها ميزانه) يراد به ميزان والدهـا لاميزان الله كما جاءت الترجمة الافرنسية ·

وفي س : ٣ (وجعلها نوراً بين يديه رحمة الله ٠٠٠) وصوابه (وجعلها نوراً بين يديه ورحمة الله ٠٠٠

وبعد فقد اسدى القائمون بهذا العمل خدمة جليلة للتاريخ الاسلامي وللغة العربية ، ومن عجز أصبح من اعظم ماقام به علماء المشرقيات نحو أبناء البلاد العربية فبارك الله بهمة القائمين به ووفقهم لاتمامه ٠

جعفر الحسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com